الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أدرار

جامعة أحمد دراية - أدرار
Université Ahmed Draia Adrar- alger

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

السياسة العثمانية ببلاد الشام

خلال القرن 19م وبداية القرن 20م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين :

ليلى علالي

فاتحة أولاد دحمان

إشراف الدكتور :

محفوظ رموم

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الصفة
01	د. محمد مرغيث	رئيساً.
02	د. محفوظ رموم	مشرفاً ومقرراً.
03	أ.محمد بن سويسي	عضو مناقشاً.

الموسم الجامعي : 1435 / 1436 هـ
2014 / 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

نحمد الله الذي لا يطيب الليل إلا بشكره ولا يطيب النهار إلا بطاعته ولا تطيب اللحظات إلا بذكره أن وفقنا لانجاز هذا العمل .

كما نتقدم بجزيل الامتنان إلى من كللهم الله بالهيبة والوقار، إلى من علموا لنا العطاء بدون انتظار ،إلى والدي أطال الله في عمرهم.

والى من علمنا أن للنجاح قيمة، وعلمنا التفاني والإخلاص في العمل إلى أستاذنا ، و قدوتنا الدكتور رموم محفوظ.

وإلى كل من مهد الطريق أمامنا للوصول إلى العلم شيوخ نا، وأساتذتنا الأفاضل طيلة مشوارنا الدراسي .

إلى كل أساتذة قسم العلوم الانسانية، ونخص بالذكر الدكتور محمد مرغيث، والى كل زملاء الدراسة.

الى هؤولاء جميعا نهدي ثمرة جهدنا.

ليلى -فاتحة

شكروعرفان

بداية نتوجه بالشكر الجزيل وحمدنا الكثير لله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، مصداقا لقوله تعالى:﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ فالحمد لك ربّنا على ما وهبتنا.

والشكر موصول إلى من علمنا التفاؤل والمضي للأمام، إلى من وقف إلى جانبنا عندما ضللنا الطريق وضحى بوقته الوفير وجهده الثمين، إلى من غمرنا بنصحه وشملنا بعطائه، نتقدم بأسمى عبارات الشكر وآيات الامتنان للدكتور **رموم محفوظ** لوفير صبره وقبوله الإشراف على هذا العمل أدامه الله ذخرا وأثابه له الأجر والثواب.

إلى كل من أشعل شمعة في دروب علمنا، والى من وقف على المنابر، وأعطى من حصيلة فكره لينير دروبنا، إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة لنا طريق العلم والمعرفة أساتذتنا الأفاضل في قسم العلوم الإنسانية بجامعة ادرار.

إلى كل الأصدقاء والزملاء بالدراسة، ونخص بالذكر الفوج الثاني ماستر، كما أن الشكر موصول إلى كل من كان عونا لنا ونورا ينير

ليلى فاتحة

مقدمة

التعريف بالموضوع

دخلت بلاد الشام (سوريا، فلسطين، لبنان وشرقي الأردن) ضمن ممتلكات العثمانيين منذ سنة 1516م، و على مدى أربعة قرون حاولوا خلالها توطيد الحكم المركزي عن طريق الزعامات المحلية، أو نظام العشائر لتثبيت السلطة التركية في المنطقة.

استمر الوجود العثماني في بلاد الشام حتى سنة 1914م حيث قسمت المنطقة إلى ثلاث باشاوات يحكمها الولاة بإشراف من السلطة العثماني ة ، لكن التحديات الداخلية خلال القرن 18م برزت في ظل تعاظم الاضطرابات الاجتماعية وتردي الأحوال الاقتصادية والسياسية ، ما دفع السلطة لإجراء إصلاحات إدارية وعسكرية من اجل تحسين الأوضاع في البلاد والحيلولة دون تمرد وتململ شعوب المنطقة على حكمها ، وبرغم من ذلك إشتدت حركات التمرد و الثورات واستفحل أمرها وخاصة في أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م حيث انتشر الضعف والتدهور في أوصال الدولة العثمانية أكثر فأكثر، وتكالبت عليها الدول الأوروبية فيما يعرف بتقسيم تركة الرجل المريض .

أما داخليا تجسد ذلك في الصراع بين السلطة المركزية التي يمثلها الباشا أو الوالي وبين مختلف أجنحة المؤسسة العسكرية من قوات محليين فضلا عن أعمال النهب والغزو من جانب القبائل البدوية ،وتطلع الفعاليات المحلية من أسر منفذة وإقطاعيين إلى الاستقلال والتفرد بالحكم في مناطقها .

ويظهر ذلك في اشتداد الحركات الانفصالية، و الاستقلالية عن الدولة العثمانية، وما زاد الطين بلة إنتشار الحروب الأهلية في الولايات، وانعدام الأمن وعموم الفوضى فلم يكد ينقضي القرن 18م ،وبيزغ فجر القرن 19م حتى كانت الإمبراطورية العثمانية التي مافتئت تتصدر مقام القيادة في العالم قد إنتهت الى الدرك الأسفل من الانحطاط ،والتقهقر كنتاج للهزائم المتتالية للجيوش العثمانية في مختلف جهات القتال ،حيث تحولت من مرحلة الهجوم إلى الدفاع في ظل إشتداد التنافس الأوروبي العالمي بين الدول الكبرى على الشرق الأوسط باعتبارها تحتل مركزا وموقعا جغرافيا هاما بالاضافة لكونها بوابة العالم، وقطبا تجاريا بارزا،وممرا لتجارة الشرق والغرب.

لكن دخول محمد علي باشا للمنطقة قد قطع الطريق عليها سنة 1831م سعيا منه لتحقيق أطماعه التوسعية في المنطقة ،ولتعويض الخسائر التي تكبدها في حروبه ضد المورة باليونان ، اذ عمد إلى تطبيق إستراتيجية

تعمل على تحسين الأوضاع على مختلف الأصعدة، حيث كان حكمه إصلاحيا لمختلف المجالات الإدارية والاقتصادية والتعليمية.

وفي مقابل ذلك أدت السياسة القائمة على التجنيد الإجباري إلى تذمر السوريين، وقيام الثورات الشعبية ضده مما فتح مجالا واسعا أمام التدخل الاجنبي الأوروبي في المنطقة مما انجر عنه بروز الثورات الطائفية.

وعلى اثر ما سبق ذكره وبفعل السياسة الرامية لصبغ ولايات المشرق بالصبغة التركية تنامي الوعي القومي العربي على يد ثلة من المثقفين أخذت تطالب بالاستقلال ،والانفصال عن الدولة العثمانية نتيجة لفشل الإصلاحات العثمانية التي سعت إلى محاولة البعث والتجديد،وكانت نتيجة ردود فعل إتسمت ببروز القومية العربية الرامية لتدعيم حركات الإنفصال، والمشاركة العربية في الحرب العالمية الأولى 1914م ضد الدولة العثمانية،ومن هنا جاء موضوع مذكرتنا هذه لمحاولة فهم تداخل الأحداث والموسومة بعنوان: **"السياسة العثمانية ببلاد الشام خلال القرن 19م وبداية القرن 20م "** .

دوافع اختيار الموضوع:

ورغبة منا لتسليط الضوء على هذه الحقبة من تاريخ المنطقة سياسيا إضافة الى ذلك الرغبة في الوقوف على حيثيات الموضوع ،واكتشاف خباياه من خلال استخلاص المفارقات الواضحة في أسلوب الحكم العثماني لمنطقة المشرق بصفة عامة ، وبلاد الشام على وجه الخصوص باعتبارها تتميز بخصوصيات عن باقي الايالات الخاضعة للحكم العثماني ،هذا بالإضافة إلى الاطلاع على السمات والخصوصيات التي امتاز بها الحكم العثماني لبلاد الشام، وسيرورة الإحداث التي توالت بالمنطقة وكانت سياج تفوق الدولة العثمانية .

إشكالية البحث:

إن محور إشكالية البحث يتمحور حول الأتي :ما هي سمات وخصائص السياسة العثمانية لبلاد الشام خلال القرن19 م وبداية القرن 20م؟ .

بالإضافة إلى تساؤلات فرعية تفرض نفسها لضمان الإثراء الجيد والحسن للموضوع تمثلت في الأتي:

ما هي الملامح العامة للوضع السياسي لبلاد الشام خلال تلك الفترة ؟ ما هي أبرز التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الحكم العثماني ببلاد الشام؟ وكيف واجهتها الدولة العثمانية ؟ و ما هو موقف

الدولة العثمانية م ن الأطماع التوسعية للحكم المصري في المنطقة ؟ وما هي ردود الفعل المحلية على السياسة العثمانية في المنطقة ؟

منهج الدراسة:

للإجابة عن الإشكالي ة المطروحة ومن أجل التوصل إلى الحقائق التاريخية تطلب منا الأمر وصف وتقرير المعطيات التاريخية ،وعليه إعتمدنا على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي في استعراض وتقصي التطورات والإحداث التاريخية، وأسس ومظاهر الحكم العثماني ببلاد الشام .

مصادر ومراجع البحث:

للإلمام بمختلف جوانب الموضوع اعتمدنا على مصادر ومراجع أبرزها:

كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بيك المحامي ، والذي تميز بالموضوعية في الطرح واستفدنا منه في المبحث الأول والثالث من الفصل الثاني ، وكتاب حوادث سوريا ولبنان لميخائيل مشاقة ، إستعنا به في المطلب الرابع من المبحث الثاني للفصل الثاني وبالضبط أثناء عرض حوادث الستين في جبل لبنان باعتباره شاهد عيان بالإضافة إلى مراجع أهمها :

عصر محمد علي لعبد الرحمان الرافعي الذي لحظنا فيه الموضوعية و الحياد في الدراسة و أعتمدنه في الفصل الثاني من البحث والذي أستوفي وأثرى الموضوع باستفاضة ومرجع أخربعنوان تاريخ العرب الحديث لمحمد عرابي نخلة واستعنا به في الفصل الثالث والرابع والدي وقف على مختلف جوانب الموضوع دراسة وتحليلا.

الصعوبات :

ومن ابرز الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذا البحث المتواضع اختلاف وجهات النظر وتضارب تواريخ الأحداث وإيجاد صعوبة في التوفيق بينها والترجيح ،وكذا تحي ز بعض المؤرخين تبعا لمذهبهم العقائدي كالمؤرخ شكيب ارسلان ، إضافة إلى الضرورة الحتمية إلى الاعتماد على مصادر ومراجع باللغة الأجنبية تلقينا عراقيل وصعوبات في ترجمة المادة المعرفية للعربية لتوظيفها في البحث.

خطة البحث:

وللإلمام بمختلف جوانب الموضوع والإثراء الموضوعي انتهجنا خطة مفادها مقدمة ثلاث فصول وخاتمة حيث استعرضنا في الفصل الأول الوضع السياسي لبلاد الشام خلال القرن التاسع عشر ميلادي،وقد تضمن التنظيمات العثمانية في بلاد الشام ، و نظام الحكم العثماني ببلاد الشام ، وأبرز الحركات الانفصالية ببلاد الشام قبيل القرن 19م.

وفي الفصل الثاني عرضنا فيه حرب الشام الأولى والثانية (1831م_1833م) بين محمد علي باشا والسلطة العثمانية.

أما الفصل الثالث خصصناه لإسهام ودور اليقظة في بعث الحركة القومية وردود الفعل العربية على سياسة التتريك المنتهجة في المنطقة .

الفصل الأول

الوضع السياسي العام لبلاد الشام خلال القرن 19م.

المبحث الأول : التنظيمات العثمانية في بلاد الشام

المبحث الثاني: نظام الحكم في بلاد الشام

المبحث الثالث : الحركات الانفصالية ببلاد الشام قبيل القرن 19 م

الفصل الأول:الوضع السياسي العام لبلاد الشام خلال القرن 19م

كان الصراع المذهبي سببا في نشوب معركة مرج دابق التي وقعت بين العثمانيين (سليم الأول)والمماليك (السلطان الغوري)في 922ه/ 1516م، والتي انتصر فيها الجيش العثماني انتصارا باهرا ، وذلك لانعدام الإستعداد الكامل للغوري ، واستخدام العثمانيين البنادق وخيانة بعض قوادهم .

قام المماليك بتسليم المفاتيح الشامية كلها إلى الدولة العثمانية ، فبعد أن جني السلطان سليم ثمار الانتصار سار إلى حلب ، حيث استقبل من قبل الأهالي استقبالا حافلا ، إذ تجمعوا في ميدان الأزرق معلنين ولاءهم للنظام الجديد، وعرض واليها المملوكي جبري بيك طاعته للسلطان ، ودخل في خدمة الدولة العثمانية، و لم يكن بمقدور الجيش المملوكي الحيلولة دون تقدم السلطان سليم في بلاد الشام ،واثر القادة المماليك الميدانيون الانسحاب إلى مصر الأمر الذي ساعد دخول معظم المدن الشامية تحت سيطرة العثمانيين، وهكذا أخضعت "حما ،حمص وطرابلس.

عمد العثمانيون في بلاد الشام على تغيير الولاة دوما خوفا من أن يتثبت أحدهم ،ويعمل ما عمله الغزالي[1]، تفكيره بالانفصال عن الدولة العثمانية حتى بلغ عدد ولاة الشام خمسون تقريبا في اقل من قرن، ولا شكا أن هذا التبديل السريع دليل على سياسة قوية من السلطان ،ودليل تخوف من عرب الشام الذين رفضوا الحكم العثماني ، ولا سيما بعد تأكدهم من تحصيل الضرائب مثلهم مثل المماليك بل زادوا فيها،ومع أن بلاد الشام مرت بأيام استقرار نسبي بالنسبة إلى السلطان والوالي ، فان حركات التمرد كانت لا تتوقف بين الحين و الأخر، وظلت بلاد الشام يحكمها الولاة بإشراف السلطنة العثمانية مباشرة مدة 398 سنة، وقد تبادرت الى أذهانا جملة من التساؤلات الاتية : ماهي ملامح الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي العام ببلاد الشام خلال القرن 19م وبداية القرن 20م ؟

وماهي مميزات نظام الحكم العثماني بالمنطقة؟ وفيما تمثلت ردود الفعل عنه ؟

[1] الغزالي: هو جان بردي الغزالي عينه سليم على سوريا مكافئتا له على وقوفه إلى جانبه ودخل دمشق926ه وكان قد بيت فكرة الاستقلال عن السلطان العثماني

المبحث الأول :التنظيمات العثمانية في بلاد الشام

اقتضى تطبيق الأنظمة والقوانين (التنظيمات) في بلاد الشام وضع إدارة عثمانية جديدة بدل التي كانت أيام المماليك ولذالك شرعت الدولة العثمانية بإرساء أركان هيكلها بتنظيمات إدارية قسمت فيها بلاد الشام إلى ولايات .[1]

المطلب الأول :التنظيم الإداري ببلاد الشام *

يتأثر النظام الإداري في العادة بالأسس والأهداف التي تقوم عليها الدولة ،فالدولة العثمانية قامت على أساس الفتح وهدفها الجهاد في سبيل الله، ولذلك تأثر نظام الحكم فيها بطبيعة الدولة وأهدافها، والتي أصبحت أشبه بالجيش الذي يرأسه قائدا له السيطرة شبه المطلقة ،ويساعده أركان حربه وهذا القائد هو السلطان الذي يأتي في قمة الهرم الإداري يليه المفتي ،والجندي والوزير الأعظم .

إن انتماء الإدارة العثمانية في بداية نشأة الدولة إلى أصول عسكرية، أضفى عليها تماسكا ونظاما حيث اعتمدت الدولة منذ قيامها على الأسرة العثمانية فكان منها السلطان ، وكبار موظفي الدولة والحاشية، وهذا الاعتماد أحد أسباب قوة الأسرة العثمانية ، ورسوخ جذورها على العرش ، ولقد كانت الشجاعة والكفاءة عاملين مهمين لتولي العرش ،ويقتضي النظام العثماني تربية (الشهزادات) أي كبار موظفو الدولة وتعليمهم داخل القصر على أيدي أشهر المعلمين ، وحتى عام (974ه/1566م) كان هؤلاء (الشهزادات) يرسلون إلى خارج العاصمة ليكونوا أمراء على السناجق برتبة (سنجق بكي) ، ولكن بعد هذا التاريخ اقتصر الأمر على إرسال اكبر الأمراء ليكون أميرا على احد السناجق .[2]

بدأت المهام الوظيفية للسلاطين بالوضوح مع نمو الدولة وتوسعها ، وتعدد مسؤولياتها، ولعلى ابرز هذه المهام هي قيادة الجيوش وتعيين أمراء الولايات ،وإقامة العدل بين الرعية

[1] سمية حمودة :حركة الفتح العثماني في القرن (17م/11ه) دراسة تاريخية حضارية ، رسالة ماجيستير بإشراف : أميرة بن علي وصفي مدح ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2006، ص 124.

[2] المرجع نفسه ، ص 125. (*) أنظر الملحق رقم 01.

،وحضور الجلسات التي يعقدها الديوان الهمايوني[1] ولقد اجتاز الحكام العشرة الأوائل مرحلة بناء الدولة وظهرت كفاءتهم فتعلموا وتربوا جيدا لتصبح بأيديهم مقاليد الأمور ، وأقحموا أنفسهم في شؤون الحكم ، وقادوا جيوشهم ، فتمكنوا من تطبيق كفاءتهم بنجاح في قضايا ومشكلات الدولة.

واستطاع هؤلاء السلاطين أن يكونوا مساعدين لأنفسهم من دون ذوي الكفاءات عرفوا (بالديوان الهمايوني) الذي له أهمية خاصة في إعطاء الحكم العثماني صفته المركزية ، حيث يقوم أعضاؤه بتسيير أمور الدولة الأساسية كلها ، وهو أمر عرفته الدول الإسلامية السابقة[2] .

كما كان السلطان يفرض سلطانه على البلاد المفتوحة عن طريق :

1-السيطرة المباشرة.

2- ذكر اسم السلطان في الخطبة وعلى النقود .

3- الإبقاء على الحكام المحليين بصفة تابعين وإقامة حاميات من الجيش الانكشاري في مراكز المدن أو على الحدود.

4- إسكان جاليات تركية في البلاد المفتوحة لإسباغ صفة التركية ولضمان ولائها .

5-تعيين حاكم عثماني يدعى "الباشا"ليفرض سيطرته باسم السلطان على السكان .

ويعد محمد الفاتح أول واضع لمبادئ القانون المدني ،وقانون العقوبات، وكان هذا نواة ما قام به السلطان سليمان حتى دعي بالقانوني .فقام أيضا أخ للسلطان أورخان "علاء الدين" بوضع قوانين ولاسيما في الجيش ،اللباس والسكة[3].

[1] الديوان الهمايوني :دائرة حكومية مرموقة في الدولة العثمانية ،وظيفتها مناقشة القضايا السياسية والإدارية ،والعسكرية ،والشرعية والمالية ،...الخ ،من الدرجة الأولى، وإصدار قرارات باشاها ، وهي تشبه إلى حد كبير مجلس الوزراء في الوقت الراهن ، وقد تشكلت في عهد السلطان (اورخان بن عثمان).

[2] سهيل صابان : المعجم الموسوعي ،ص 114 .

[3] سمية حمودة :المرجع السابق ،ص125. انظر ايضا :احمد عزت عبد الكريم :دراسات في تاريخ العرب الحديث ،دار النهضة العربية ،بيروت،ص 119.

كان المشرف على قصر الحريم هو أغا دار السعادة، يساعده بعض الخصيان ، ويدعى كذلك " كزلار أغا " ،وقد برزت قوته في مرحلة الضعف لاسيما في القرن الثامن عشر حين أوكل إليه أوقاف الحرمين الشريفين ،أما الدفتر أميني وهذا المقام موجود في العاصمة كما هو موجود في ولآيات الشام ، ولكن على شكل مصغر ، وقد يحصل الوالي الضرائب كما في ولآيات لبنان والشام ،وقد ينفصل المحصل عن الوالي كما جرى لولاية حلب ،كما قد يمنح السلطان نفسه حق الالتزام بالجباية مدى الحياة فيدعى "مالكانة"[1] .

فكان يشرف على قضايا القطاعات والشؤون الماليةيدعى "المقاطعجي "[2] ويرأس ه الملتزم [3] المحصل ،و كان هذا الاخير يتبدل سنويا ،ثم أصبح وراثيا حتى تحولوا إلى أمراء مستقلين "كظاهر العمر".

كما لم يكن الوالي العثماني ببلاد الشام أفضل من النائب المملوكي ، فقد كان متحررا من سيطرة السلطان والسلطة المركزية ،و لم يغيروا في تقسيم بلاد الشام إداريا ، بحيث اتبعوا التقسيمات الأيوبية قبلهم ، فحين دخول السلطان سليم بلاد الشام عين مجلسا أناط به مهمة مسح جميع الأراضي ، كما اعتمد العثمانيون أسلوب المماليك في تلزيم الضرائب من غير مراعاة قدرات الشعب . كما غيروا في اسماء المقاطعات الادارية ،فأصبحت النيابة "ولاية "، ثم إنهم طوروا مفهومهم للولاية وأصبح "متصرفية " وصاحبها المتصرف، وقد استفاد السلطان سليم من الذين انحازوا إليه في معركة مرج دابق ، فاستخدمهم مثل "جان بردي الغزالي " إذ عينه واليا على دمشق ،وكانت الدولة تبقي الولاة المحليين لضعفهم ، أو رغبة في شرائهم ما داموا يدفعون ما عليهم من الضرائب ،وتتألف كل باشوية أو ايالة من سناجق أو الألوية ،وعلى كل سنجق باشا يقوم بتعيينه باشا الشام ويكونون من الشخصيات المحلية البارزة ، وقد قسم العثمانيون بلاد الشام إلى ثلاث باشويات كبيرة وهي على النحو التالي: [4]

---

[1] احمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، 120 .

[2] المقاطعجي : وقد أطلق اسم "الأفندي" على كل من حمل القلم والذي يعطي حق جمع الضرائب

[3] الملتزم :في المصطلح الاداري والمالي العثماني هو التعهد من قبل فرد او عدة قرى ،بواقع سعر معين للفدان الواحد يتحدد حسب جودة الارض .انظر ايضا:اسماعيل احمد ياغي :العالم العربي في التاريخ الحديث ،ط1، مكتبة العبيكان،الرياض،1997،ص78.

[4] محمد تونجي :بلاد الشام إبان العهد العثماني، ط1 ، دار المعرفة، بيروت ،2004،ص72.

باشوية حلب :تتألف من السناجق التالية "انطاكيا، اورفة، منبج المعرة، اضنة ،كلس، سرمين تركمان حلب، اعزاز ".

باشوية الشام: تتألف من "القدس ،غزة صفد ،نابلس ،عجلون ،اللجون ،تدمر، صيدا، بيروت، الكرك و الشوبك ".

باشوية طرابلس: تتألف من "سنجق حماة ،حمص، سلمية، جبلة، اللاذقية ،الحصن" [1]

وفي القرن السابع عشر غيروا بعض التقسيمات الإدارية ،فاوجدوا ولاية صيدا ومعها متصرفية جبل لبنان فيها نظام خاص تضم 08اقبية هي الشوق ،كسرا وان ،البترون ،الكورة ، زحلة، ديار القمر وتحتوي على 40ناحية و934 قرية وهي تضم : خمس ألوية هي بيروت، عكا ،ناب لس و 15 قضاء و 28 ناحية و 1017 قرية،وولاية حلب تضم وارفة ،مرعش و 12قضاء و 72 ناحية و3800قرية ،متصرفية القدس الشريف ضمت 04اقضية ،يافا ،غزة ،بئر السبع، خليل الرحمان ،11ناحية 384 قرية، أما ولاية طرابلس الغرب فضمت 05 ألوية هي: الغرب ،الجبل الغربي ،حمس ،فزان ،1قضاء و1017قرية . وقد ظهرت فكرة تعيين الولاة من السكان منذ القرن الثامن عشر وهو حدث جديد لاسيما في بلاد الشام ففي عام 1724أصبحت ولاية دمشق إلى إسماعيل باشا العظم، واسعد باشا ابنه حاكم صيدا ثم حماة ، وكان الباب العالي يغير كثيرا من الولاة حتى لا ترسخ أقدامهم فيستعصوا ،أو يطالبوا بالاستقلال، وحتى تزداد عائدات الرشوة إليه مما يجعل الباشا الجديد لا يفكر إلا بامتصاص الأموال من الشعب لاسترجاع ما دفعه ولسد جشع الوزراء وأصحاب النفوذ[2]

المطلب الثاني :الوضع الاقتصادي ببلاد الشام

كانت موانئ البحر الأبيض المتوسط وشواطئ البحار المتصلة به من بحر ايجه ،مرمره والبحر الأسود وبحر أزوف ملتقى تجارة الشرق ،والغرب قب ل اكتشاف الغرب طريق رأس الرجاء الصالح الذي ساعده على الاستغناء عن وساطة الشرق الأوسط والأدنى في هذه التجارة ،وكانت تجارة الغرب مركزه خلال الوجود الصليبي على الساحل الشامي حتى تمكن المماليك من طردهم من عكا آخر

[1] اسماعيل احمد ياغي :المرجع السابق،ص74.

[2] احمد عزت عبد الكريم :المرجع السابق ،ص113.

حصن لهم على هذا الساحل ،وقربت الاحداث وسائل التفاهم ، والتحالف بين المغول ، وبين الغرب فاخذ تجار الإفرنج من بنادقه، وجنوبيين، وغيرهم بعد تخليهم عن التجارة مع المماليك يتاجرون مع المغول عن طريق الأناضول والبحر الأسود ، وبحر أزوف وتمكنوا من زيارة الصين ، والهند عبر تلك الطرق,فكان التاجر الشرقي إذا جاء من طريق شمالي الأناضول يقدم إلى استانبول ، أو بورصة فإذا اتجه إلى الجنوب قدم إلى حلب عن طريق ديار بكر ، ولهذا كان التاجر الغربي ابتداء من النصف الثاني للقرن السادس عشر يرغب في القدوم إلى حلب ،وكانت سفنه تصل إلى طرابلس إذ هي الميناء أو الاسكا الذي يحي فيها الجمرك ،وأن سوق دمشق لم يعد يكفي التاجر الغربي لكونها اقتصرت على قوافل الحج، وبعض القوافل التي كانت تأتي من الجنوب حاملة أنواع التوابل ،بينما كان يقصد حلب عدة قوافل منها قوافل العراق ابتداء من البصرة ، أو بغداد، فالموصل ، وقوافل إيران وما وراءها من هند وربما صين عن طريق شمالي العراق ، فديار بكر ، أو من جنوب شرق الأن اضول ، أو من ارض روم ، فسيواس، وقوافل غربي الأناضول اعتبارا من استانبول ،أو من أزمير، أو بورصة أو فرمان ، وقد دخل الخزينة حسب دفتر ميزانيات طرابلس الشام من أموال مقاطعة ميناء البلد في هذه الفترة ما يلي[1] :

1 –من 26صفر سنة 1000 /1559م إلى 22 رمضان سنة 1000ه/1559 .447.525 بارة ونسبتها إلى أموال الولاية هي 6/1.

2 –من 23رمضان سنة 1559/1000الى 23 جمادى الأخر سنة 1001ه /1560.686.590 بارة ونسيتها إلى أموال الولاية هي 10/1.

3 –من 4محرم سنة 1559/1000م إلى 9رمضان 1006 ه /1565م. 200.000 بارة ونسبتها إلى أموال الولاية هي 7/1.

4 –من 1ذي القعدة سنة 1570/1011م إلى آخر ذي الحجة سنة 1011ه /1570. 133.000 بارة ونسبتها إلى أموال الولاية هي 12/1.لهذا فسوق حلب أنشط وأغنى والطلب فيه أوسع واكبر ،ثم أن لحلب ميزة أخرى فهي اقرب من العاصمة ، فالقوافل في الطرق الأخر [2] كانت

[1] محمد تونجي : المرجع السابق ،ص 76.

[2] المرجع نفسه، ص77

تتعرض لسطوا،ومصدر شكاوى تجار الغرب من سياسة الحكام ، والدروز بالقرب من طرابلس ، أما حلب فكان بها الأمن والمرافق .

وبعد أن وافق العامل (أي الملتزم) تحويل ميناء حلب إلى الشمال طلب أن يؤذن لمن يشاء ببناء بيوت لنزول التجار وخزن البضائع ،وبما أن نسبة دخل جمرك طرابلس إلى دخل خزينة طرابلس كان كبيرا ،فان دفتر دار طرابلس لم يتخل عن فكرة تعطيل ميناء ا لاسكندرونة ، وظل نجم حلب وميناء الاسكندرونة مرتفعا رغم الحروب المتواصلة مع إيران طوال النصف الأول من القرن السابع عشر، و لم تتأثر مقاطعة ميناء الاسكندرونة سواء تعلق الأمر بمقاطعة ميناء طرابلس ، أو جمعت كل موانئ الساحل الشامي تحت التزام واحد ، وكانت ميزانية ولاية الشام في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر دخلها يتناسب مع جغرافي ته ا ،وهي الشام ،صيدا ،القدس ،عجلون ،غزة ،الجون ،نابلس ،تدمر ،صيدا ،بيروت وكرك الشوبك ، ويظهر من تقلص دخل الولاية في القرن السابع عشر أن بعض هذا الألوية قد فصلت عنها إما ماليا أو إداريا،فبينما كانت أموال الشام المتوفر من المقاطعات والجزية تبلغ أكثر من 197924 غرشا أسديا و كانت في صيدا ،صفد ،بيروت والشوف تبلغ 211227 غرشا يصرف منها محليا 5.262.5 غرشا ويرسل الباقي وهو160972. 5 غرشا إلى استانبول ، أما الشام فكما سنرى فان دخلها في القرن السابع عشر كان يصرف محليا[1]

أما بالنسبة للتجارة في بلاد الشام ،فقد تمتعت حتى القرن الثامن عشر بأهمية تجارية مميزة على جميع بلاد الشرق الأدنى، فكانت حلب في مقدمة المدن السورية كونها رحبت بالتجارة مع الأجانب وملتقى لقوافل بغداد ،فارس ،البصرة ،قوافل أرمينيا ،ديار بكر ،قوافل دمشق وبلاد اليمن ،وتتصل حلب عن طريق الاسكندرونة واللاذقية فتحمل معها منتجات الشرق والغرب ، وفي أواخر القرن السادس عشر فقدت البندقية مكانتها التجارية بحلب بسبب تحول طريق التجارة نحوا رأس الرجاء الصالح، وانهيار البندقية على إثر ضربات الأتراك العثمانيين ، مما فتح الباب [2] أمام تنافس الانجليز

[1] هشام سوادي هشام : تاريخ العرب الحديث من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الاولى ،ط1 ،دار الفكر المملكة الاردنية الهاشمية ،عمان ،2010م، ص90.

[2] المرجع نفسه،ص 92.

والفرنسيين بحلب،فوصلت المنافسة فيما بينها إلى أقصى حدها في القرن الثامن عشر ، واثر ذلك سلبا على تجارة حلب وذلك نتيجة عدة عوامل واهم هذه العوامل :

1 -الحرب التركية الإيرانية التي استمرت إلى غاية القرن التاسع عشر .

2 -سعى الانجليز والهولنديون تحويل التجارة إلى موانئ الخليج العربي[1].

3 -العصابات الكردية والتركمانية و اعتداءاتها على قوافل التجار . وبفعل هذه العوامل تدهور وضع حلب التجاري وتفوقت عليها اساكل ، أزمير ،الاسكندرونة ،اس تانبول وصيدا ، أما طرابلس ففي سنة 1612م انتقلت الجاليات الأوربية من طرابل س إلى الاسكندرونة فرارا من استبداد الباشا يوسف ،وانتهى الأمر بسيطرة السيفيين على طرابلس ،وعاد التجار الأجانب إلى طرابلس عام 1680م مرة أخرى ،وأهم تجارة كانت بها هي تجارة الحرير بلبنان ، كما كانت تجارتها الخارجية محتكرة في يد الفرنسيين ، فكان لهم بها قنصل وثلاث مخازن تجارية ،أما في الضفة الشمالية لطرابلس تقع اللاذقية التي اشتهر بها تصدير التبغ ،وقد كانت صيدا حتى أواخر القرن الثامن عشر في تجارتها الخارجية محتكرة من طرف الفرنسيين وخاصة تجارة الحرير[2]

4 -غزل القطن، فكان لهم بها قنصل ، وخمس بيوت تجارية ،وعلى الرغم من ما قاسته صيد على اثر حركة ظاهر العمر، وعلي بيك ، حيث أدى إلى تعطيل التجارة لأنه سرعان ما تغلبت صيدا على هذه الأزمة وظلت متماسكة كمركز تجاري في الدرجة الأولى حتى القرن التاسع عشر، بفضل منتجاتها المتنوعة أهمها القطن بمناطق سوريا الجنوبية ،فلسطين وبيروت وبالخصوص في عهد الأمراء الشهابيين في القرن الثامن عشر.

كما كانت هناك صناعات حرفية تعتمد بالدرجة الأولى على الحرف البدوية ،وهي منظمة في طوائف ،وعلى كل طائفة رئيس وهو الشيخ ،ثم يأتي بعده المعلم، ثم الصانع ،فالتلميذ ، وكانت دمشق وحلب من أكثر مراكز الصناعة الحرفية، فاشتهرت بصناعة الأقمشة ،السجاد،الأسلحة والمصنوعات [3]

---

[1] خليل ساحلي اوغلي : من تاريخ الاقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانيين ، منظمة المؤتر الاسلاميو مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ، استانبول ، 2000 م ، ص19 .

[2] احمد عزت عبد الكريم :المرجع السابق ،ص125.

[3] المرجع نفسه ، ص 126 .

النحاسية والتي تصدر إلى أوربا،وقد كان الصناع ما إذا قرنا عددهم بعدد السكان ، ويعود السبب في ذلك إلى عدة أسباب منها :

01-تطوير صناعة الأوربيين نوعا وأسلوبا مما أدى إلى تأخرها وقلت نتائجها .

02-ضعف المورد الاقتصادي بسبب الضرائب المتنوعة على الحرفيين ، وكل ذلك أدى إلى تدهور الصناعة وقلة الحرفيين،وقد انتهجت الدولة العثمانية ببلاد الشام وباقي البلاد العربية النظام الإقطاعي [1] في اقتصادها ،بعد أن كانت قائمة على اقتصاد النقدي أهم عناصره التجارة ،والأخذ والعطاء ، واهم عنصر في النظام الإقطاعي الزراعة ،بحيث كانت محدودة تحقق الاكتفاء الذاتي فقط ، وهي ترتكز على إنتاج كل من الحبوب ،الأرز والقطن بسوريا والحرير في لبنان ،وهكذا لم تتطور الزراعة والصناعة والتجارة في بلاد الشام ،بالرغم من توفر الطرق والموانئ ووجود إمكانيات اقتصادية كفيلة بالتقدم والازدهار[2] .

المطلب الثالث :التنظيمات الاجتماعية العثمانية ببلاد الشام

أشارت الكتابات التاريخية إلى أن الحكم العثماني على الولايات والأيالات كان حكما عسكريا تبعا لسياستهم التقليدية ،والحكم العسكري يزيد من الفروق الطبقية أكثر من أي حكم آخر تقليدي ،ومهما حاولت الفئات الموالية إعلان ولائها فإنها تظل دون الطبقة الحاكمة ،و كانت بلاد الشام تتكون من حيث التركيبة السكانية من مختلف العناصر و الطبقات والأجناس والطوائف (الزعامات ،العشائر)ويتصدر السلطات في بلاد الشام الطبقة الحاكمة من الباشوات العثمانيين، أما الطبقة الثانية فتتألف من رجال الدين، المثقفون ثقافة دينية، ومن كبار العلماء والقضاة، وكبار الإداريين والموظفين ممن أسهموا في الحياة السياسية ، والطبقة الثالثة عامة الناس وهم من مختلف الاجناس، والطبقة الرابعة هم الأعراب المنتشرون في بلاد الشام وغيرها، وكانوا أحيانا يشكلون خطرا على طريق الحج، والحقيقة أن هذه المكونات لم تختلف كثيرا عما كانت عليه أيام المماليك [3] ، بل هي كثيرة الشبه بطبقات العصر العباسي ،فمن حيث الجنس إن الطبقة العليا ببلاد الشام فيها عرب وفيها

[1] الاقطاع : هو منح الارض التي لا مالك لها مقابل الخراج والعشور او منح غلة الارض في مقابل شيئ اوضمانة لبيت المال،وان منح مقاطعة من المقاطعات المذكورة ان يكونوا دوما على استعداد للحرب وان يتولوا اعداد من الفرسان المحاربين وان يجهزهم بكل ما يحتاجون من اسلحة وخيول .

[2]، احمد عزت عبد الكريم :المرجع السابق ص130

[3]المرجع نفسه ،ص131

أعاجم، أما في زمان العثمانيين فالطبقة العليا فيها من الأعاجم فقط،ومن مظاه ر النكبات الطبيعية في العصر التركي ببلاد الشام انتشار الرشوة،والضغط في جباية الضرائب ،وفساد الولاة وجشعهم ، وهجوم البدوا المتواصل على المدن ، قوافل الحج ،وكان شجعان الشام دائما يثور ون، ويسخط ون عليهم ، وهذه السلوكيات جعلت المجتمع يبحث عن طريقة تجمع شمله وتوحده ، فكونوا وحدات وتشكلت طوائف عديدة منها ،وحدات الطرق الصوفية ، وحدات المشايخ ،وحدات الحرف ،ووحدات الإحياء .وكان الفلاحون وسكان الجبال بالضعف أمام الولاة وأهل المدن حتى من أبناء ولايتهم .وذالك نظرا لاعتبارهم عبيد للأرض يباعون معها فهم عليهم أن يدفعوا المير، ونفقات إطعام الجنود، و الأتوات الإضافية ، والضرائب مما سبب في رحيل الفلاحين وإخلاء الأرياف والقرى وهجرتهم إلى المدن وحتى الفلاحين الأتراك يمكن اعتبارهم من طبقة الرعايا والعامة .لأنهم كانوا مزدريين من قبل الطبقة العثمانية الحاكمة.[1]

وعلى الرغم من تعالي الطبقة الحاكمة وحقد المجتمع الشامي على الحكام الأتراك المنعزلون عن السكان الأصلين ،حيث كان البشوات يستقرون في إحياء خاصة بهم في با دئ الأمر ،أو يندمجون مع السكان الأصلين ،ودليل ذالك وجود أسماء بعض الأسر على الإحياء مثل "قاضي عسكر ،أغا جيق ، آلتون بوغا ،أوغل بيك ،شريعتلي (من أحياء حلب)",وقد اختار كثير من جنود الانكشارية العيش في بعض مدن الشام، وبالخصوص حلب ودمشق مع أن الانكشارية حوربوا في عهد السلطان محمود الثاني عام 1826 فان فلولهم ظلت في ولايات الشام تنتشر مما زاد تمازج الشعبين الاجتماعية مع الرغم من أنهم عثمانيو العادات،التقاليد والمعتقدات ،حيث أطلقوا عليهم اسم "الإفرنج "[2]، ومن الطبقات الاجتماعية بالشام فئة المسيحيين الأجانب الذين وفدوا إلى بلاد الشام ولبنان بأعداد غفيرة ، وكان الإفرنج والفرنسيون يتزوجون من النساء المسيحيات ونجم ع ن ذلك أبناء أطلقوا عليهم بالإيطالي ة mezza razza أي نصف النسل ، وقد أحدثت هذه الفئة فسادا كبيرا ببلاد الشام وبالخصوص منطقة حلب وتضاف إلى فئة الأرامن و الجراكسة عام 1877م،[3] كما نعم اليهود بحرية كبيرة حتى

[1] جميل بيضون ،شحادة الناظور ،علي عكاشة :تاريخ العرب الحديث ،ط1،دار الامل ،1991م،ص 31-39.

[2] الإفرنج :يطلق هذا الاسم على الأجانب جميعا بلا استثناء،كان هؤلاء الإفرنج يلتقون فيما بينهم ويتعاملون بكل صداقة ومودة وكان هدفهم التجارة والكسب في بلاد الشام التي جعلوها مستقر تجارتهم للشام .

[3] محمد تونجي: المرجع السابق ،ص78.

لم يجدوا متنفسا لهم إلا في بلاد الشام وآسيا الصغرى ، بالإضافة إلى ظهور فرقة وهي السبايهية "الزعامات " [1] ،ومن بين الزعامات المحلية التي ظهرت في بلاد الشام :

1-عشيرة طي وتنقسم إلى ثلاث فروع هي :الفضل وتنسب إليها عشائر أبو ريشة ،بني طربوش وبني موالي وهي تقطن على امتداد نهر الفرات وعشيرة أل عمر وعشيرة بني مرابجوار صوران من أعقابهم وعشيرة آل علي بجوار دمشق[2].

1 -عشيرة بني مهدي :وهي في الأصل تنتمي إلى قحطان ، وكانت تقطن في أراضي بني الحارثة في أطراف البلقان وتشتهر باسم طرعية.

2 -عشيرة بني جورم بجوار غزة وارم منها عشائر بني مواله وبني عابدوا وبني محمد ويقطن في الأرض الواقعة على طريق القوافل التجارية .

3 -عشيرة بني ثعلبة وتقطن في الطريق الممتد من دمشق إلى عمان ، وتنقسم إلى قسمين :ماس ورقيق وتنسب إلى عوف بن ثعلبة .

4 -عشيرة زبيد القحطانية وتأخذ فروعها المختلفة من أسماء الأماكن التي تقطنها [3].

5 - عشيرة بني خالد وهي تضم " عشيرة بني حارثة عشيرة بني عقبة عشيرة غارية قرب حمص ، وتطرق حاجي خليفة إلى العشائر الدرزية، وذكر أنها تتكون من عشيرتين وهما : طيماني ، وذرزي ،وهي تنقسم إلى فرعين : اليمنيون ويورد اسمهم في المراجع ب (افليلر) ،و القيسيون ويورد اسمهم في المراجع ب (قزلليلر) ، كما كانت في المنطقة عشائر تركية ،تركمانية وكردية استوطنت بلاد الشام ، وهذه الزعامات المحلية من الممكن تصنيفها كما يلي :

1 -الزعامات الحضرية التي كانت تتركز في المدن ،وكانت منظمة على غرار كيانات سياسية ، وتهيمن على مناطق جغرافية تتضمن عشائر مختلفة[4].

[1] هي زعامات بدوية والتي كانت تنظم نفسها ضمن التنظيم العشائري لعشيرة معينة او مجموعة من العشائر ذات الأصول المشتركة والمتحالفة فيما بينها أو ضمن حدود الدولة.

[2] محمد تونجي، المرجع السابق، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص80.

[4] محمد تونجي: المرجع السابق ،ص 81-82 .انظر أيضا :إسماعيل احمد ياغي،المرجع السابق ، ص 87.

2 -الزعامات البدوية والتي كانت تنظم نفسها ضمن التنظيم العشائري لعشيرة معينة ، او مجموعة من العشائر ذات الأصول المشتركة ضمن مناطق حد ود الدولة واضح لهذه الزعامات ثلاث أشكال في النظام الإداري.

أ - زعامات تولت إدارة عشائرها ضمن وحداة إدارية لمنطقة معينة والتي شكلت منها الإدارة العثمانية إيالتها المختلفة لبلاد الشام.

ب-زعامات تولت إدارة عشائرها ضمن وحد ة إدارية دون أن تكون لها إدارة منظمة معينة كالزعامات السابق .

ج ـ زعامات ظلت خارجة عن التنظيم وتقوم بالتوسع على حساب أراضي الدولة ، مما أدى إلى اعتراف الدولة برؤساء هذه العشائر، وقد ورد قانون تعود إلى عهد سليمان القانوني ، بحيث يتولى هؤلاء الأمراء تيماراتهم وعشائرهم ،وهم الذين يتحكمون قضائيا في أمور العشيرة .وقامت الدولة العثمانية بتنظيم هذه العشائر كوحدات إدارية ضمن السنجق[1] .

ولم يكن للمرأة دور يذكر ولا حمد يشكر بل كان دورها داخل المترل ،ولقد ازداد ض غط الحكم التركي على شباب في بلاد الشام ،ولاسيما في المرحلة الأخيرة من العصر حين انفجر المجتمع وصرح بآلامه ورفض عملية تتر ييك، مما ألزمهم الدخول في حروب كما ظهروا على شكل قطاع طرق ،وفئة منهم توجهوا لطلب العلم ليس حبا به وإنما لكون المتعلمين معف يين من التجنيد ، وبذلك يمكن أن نقول عن العلاقات الاجتماعية التي كانت بين الشاميين والعثمانيين رغم اختلاف أجناسهم ،وطوائفهم، وطبقاتهم الاجتماعية بين اخذ ورد ،وبين تأييد للبشوات ،ورفضهم الاستبداد السلطاني والباشوي المشترك هذا هو المجتمع في بلاد الشام وهكذا كان يحيا إبان الحكم التركي إلى غاية مجيء دور اليقظة العربية ومرحلة المطالبة بالاستقلال[2] .

المبحث الثاني : نظام الحكم في بلاد الشام

عرفت المناطق الشامية التي خضعت للعثمانيين تفاعلا حضاريا ، لاسيما وان العثمانيين تميزوا بانفتاح على الدين الإسلامي فازدهرت التجارة والم دن واقتصادها ،وذلك نظرا لنظام الحكم

[1] حسان حلاق :التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العربية في القرن 19 م،الدار الجامعية،1987م، ص 138.

[2] المرجع نفسه، ص 139 – 150.

وللسياسة التي انتهجها العثمان يون في الولايات التي خضعت لحكمه م "سوريا ولبنان وفلسطين والأردن " .

المطلب الأول :التنظيم السياسي في سوريا*

بعد دخول العثمانيون بلاد الشام عقب معركة مرج دابق سنة 1516 م أبقي السلطان سليم التنظيم الإداري الذي كان قائما في عهد المماليك (ولايات حلب ،حماه،طرابلس ، صفد ،الكرك) ،وكافئ الذين انقلبوا على المماليك في المعركة بان ولاهم على المناطق الممتدة من شمالي سوريا ومن العريش ،باستثناء مدينة حلب التي عين عليها واليا تركيا، وسرعان ما خاب ظن السوريين بالعثمانيين إذ انتظروا منهم حكما أكثر عدلا ، فإذا بالعثمانيين يجارون المماليك في التعسف ، و لم يتأخروا عن نهب المدن والغلال بعد سيطرتهم على البلاد ومن جراء ما حدث بعد وفا ة السلطان سليم ، وتعيين السلطان "سليمان القانوني " عمد إلى تقسيم الولاية السورية إلى ولايات عدة لمنع ظهور والي قوي قد ينقلب عليهم مثل الغزالي وأصبحت التقسيمات الجديدة كالتالي[1]:

ولاية طرابلس :واتبعت بها سناجق طرابل س ،حمص ،حماه وجبيلة فكان لطرابلس أهمية إستراتيجية نظرنا لموقعها المطل على البحر ، وعلى السلسلة الممتدة من جبال العلويين إلى جبل لبنان ، وسيطرتها على قسم كبير من الساحل.

ولاية دمشق :تضم عشرة سناجق أبرزها السندس وبيروت ،صيدا ،نابلس وتدمر.

ولاية حلب :تضم تسعة سناجق تشمل شمالي سوريا باستثناء عينتاب.

وعمل العثمانون منذ ذلك الحين على تعيين ولاة أتراك ،ومع ذلك عملوا على بث أسباب التباين في ما بينهم لتجنب خطرهم على سلطة الدولة المركزية ،وما زاد الأمر سوءا هو إباحة شراء منصب الوالي بالمال ، فإزدهرت الرشاوى وما عرف "بالبارطيل"في موازاة تزايد الضرائب التي أثقلت كاهل الشعب.

كما قسم العثمانون الأراضي من الولايات والمقاطعات السورية إلى ثلاث فئات وهي[2] :

[1] محمد تونجي: المرجع السابق ص 85. (*) أنظر الملحق رقم 02.

[2] انطوان مر اد : قصة وتاريخ الحضارات العربية "سوريا" ،ج 5-6 ، ص 48.

أ -اراضي العشر التي أعطيت للمسلمين مقابل دفع عشر إنتاجها للخزينة.

ب -ارض الخراج التي أبقيت في أيدي المسيحيين شرط أن يدفعوا خراجها لبيت المال.

ت -ارض الحيرة وهي الأرض التابعة مباشرة للدولة ،تتولى تحيرها كإقطاعيات.

كما اعتمد نظام الضرائب العثماني على الشريعة الإسلامية ،فشمل ت الضرائب على الأراضي والجزية على غير المسلمين ،وقد تصاعدت حيث فرضت ضرائب على المواشي ، والمواد الاستهلاكية الأساسية ، فضلا عن الرسوم الجمركية ورسوم المرور وهي رسوم كانت تعتبرها سوريا موردا لها نظرا للحركة التجارة النشيطة بها ، أما في مجال التنظيم القضائي فقد كانت سوريا تتبع قضائيا قاضي قضاة الأناضول ،أي الذي يتولى القسم الأسيوي من السلطنة ،أما مباشرة فكانت تتبع دمشق التي بدورها تشمل نظاما قضائيا مثل الذي يسود المدن الكبرى ،مثل اس تانبول ،مكة ،القاهرة وبغداد ،وقد تحول منصب القاضي من مدى الحياة إلى تعيين سنوي دخلت عليه عوامل المال والرشوة ،أما في المرحلة المدينة الثانية ،فكان لكل ناحية قاض عادي ونائب له يعينه قاضي القضاة لمدة سنة ونصف السرة[1].

المطلب الثاني :التنظيم السياسي في لبنان

لقد شهدت خلال الفترة العثمانية لبنان نظام سياسي قائم على حكم الآمرات، ومن أهمها الإمارة المعينة التي انتهى حجمها مع نهاية 1697م وذلك بعد وفاة الأمير احمد ألمعيني ،حيث ترك الباب العالي للبنانيين حرية تعيين من يشاءون على كرسي الإمارة ،فكان الاتفاق على تعيين أمير شهابي وبداية حكم الأسرة أو الإمارة الشهابية (1697م/1842م) ليأتي بعده نظام القائمقا م الذي جاء على إثر فشل سياسة عمر باشا النمساوي في محاولته تثبيت حكمه على لبنان ،وفي ديسمبر 1842م عقد اجتماع حضرته الدول الأوربية (فرنسا بريطانيا بروسيا) والدولة العثمانية لدراسة الوضع في لبنان حيث خرج الاجتماع بوضع نظام جديد يقوم على القائمقام.[2]

الذي هو اكبر موظف في الوحدة المعروفة باسم (القضاء) ، ورئيسه المباشر متصرف السنجق ويعين من الأسرتانة ،ويكون القائم مقام مسؤول عن الأمور المدنية ، والمالية ،والأمنية ،

[1] انطوان مراد :المرجع السابق، ص 48.

[2] المرجع نفسه،49ص.

ودوائرها في قضائه ، وتنفيذ جميع أوامر الدولة وتعليماتها التي ترده من مصرفية السنجق التابع له وإجراء الأحكام التي تصدرها محاكم القضاء، وذلك في حدود الصلاحيات الممنوحة له ،والاستئذان من المتصرف في تنفيذ ما يقع منها خارج حدود صلاحياته ،ومن ضمن وظائفه ترشيح مدراء نواحي للوحدات الإدارية الأصغر التابعة لقضائه المعروفة ب (النواحي) ، وترئس مجلس إدارة السنجق ، وتحديد موعد انعقاد مجلس إدارة النواحي بعد أخذ الإذن من السنجق وتنفذ القرارا ت التي توصلت لها هذه المجالس بعد المداولة في مجلس القضاء وطلب الموافقة عليها من متصرفية السنجق حينما يحتاج إجراؤها إلى قوة تفوق القائمقام كان عهد القائمقاميتين مضطربا في شكل عام ، وقد سادت فيه الخلافات الطائفية بين المسيحيين و الدروز[1].

و في العام 1845 ، حدثت اضطرابات واسعة بين المسيحيين و الدروز ، و أمام ما اجبر الدول الكبرى ، الدولة العثمانية على إرسال وزير خارجيتها ش كيب أفندي إلى بيروت لوضع حد للأحداث الخارجية، فأقيل القائم مقام الدرزي احمد أرسلان من منصبه و عين مكانه شقيقه القائم مقام أمين وكلفه بجمع السلاح من مناطق الجبل ، ووزع مبالغ مالية على المسيحيين كتعويض على خسائرهم المادية و عهد إلى أصحاب الاقطاعات بقمع الاضطرابات و شكل لكل قائم مقامية مجلسا برئاسة القائم مقام و عضوية نائب عنه و قاض و ممثل لكل طائفة من الطوائف التي ينتمي إليها سكان القائم مقامية ، و أصبح هؤلاء الموظفين يتقاضون رواتب محددة[2].

قامت ثورة الفلاحين سنة 1858 ضد السلطة الإقطاعية ، و قادها "طانيوس شاهين" [3] حيث استطاعت أن توحد الروابط بين القرى و البلدات ، فطردوا الإقطاعيون من قصورهم و أملاكهم

[1] انطوان مراد :المرجع السابق، ص50-51.

[2] جميل موسى النجار :الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني، 1869-1917م، ط1 ،مكتبة مدبولي القاهرة،1991م،ص 210-214.

[3] طونيوس شاهين : تولى قيادة الثورة في كانون الاول 1858م واحدا من اكثر شخصيات عهد القائمقاميين بروزا تميز بادارة قوية و صلبة و ذهن متقد و تمتع بثقة الاهالي فحقق نفوذا في اوساطهم . ولد في ريفون سنة 1815 من بلدة " ريفون " و كانت تهدف إلى إنهاء النظام الإقطاعي و تخفيض الضرائب و إعطاء الفلاحين المزيد من الحقوق التي تتيح لهم العيش بكرامة بعيدا عن الفقر و الجوع و تسلط رجال الإقطاع و معاملتهم السيئة. و شملت الثورة معظم قرى كسر وان ، و خصوصا " جونيه و زوق و مكايل و عجلتون و ريفون و فيطرون و ميروبا و كفرذبيان و القليعات و بقعاتا و عشقوت "، و توفي فيها مغمورا منسيا عام 1995م.انظرعبد الوهاب الكيالي،الموسوعة السياسية،ج3،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ص758.

و خصوصا آل الخازن ، و استثمروا أشجار التوت و حصلت تعديات في بعض القرى الكسروانية.

تدخلت البطريركية المارونية لإيجاد حل ما يرضي الطرفين ، و تم التوصل إلى اتفاق يلغي بعض امتيازات الإقطاعيين و أعمال السخرة ، و يحسن معاملة الفلاحين خلال حياتهم اليومية و العملية .،و تضمن الاتفاق إشراك الفلاحين في المشاعات ضمن مناطق الجرد الكسر واني ، و في المقابل استعاد آل الخازن لأملاكهم من أيدي الثوار ، تجددت الحوادث في 15 أوت 1859م ف ور وص ول فؤاد باشا ، وزير الخارجية العثمانية ، إلى بيروت حيث عزل خورشيد باشا محملا إياه مسؤولية ما جرى في بعض قرى المتن الجنوبي ، كما عزل والي دمشق ، و زجى ببعض زعماء الدروز في السجن من الذين أُعْتُبِرُوا مسؤولين عن المجازر المرتكبة ، و كلف لجانا من المخمنين لكي يزوروا المناطق التي شهدت الأحداث،ويقدمون التقارير عن حجم الخسائر ليصر على التعويض إلى أصحاب الحقوق ، و بعد بداية انتشار الجيش الفرنسي بين بيروت و دير القمر هرب العديد من المشايخ الدروز الذين شاركوا في الإحداث إلى حوران و جبل الدرو ز، و اتُفِقَ على لجنة دولية في بيروت لوضع حل للازمة اللبنانية عبر استبدال نظام القائمقاميين بنظام آخر يعيد الأمن و الاستقرار إلى الجبل ،لقد كانت نهاية نظام القائم مقاميات على اثر عقد اجتماع مندوبو الدولة العثمانية و الدول الأوروبية الكبرى(فرنسا ،بريطانيا ،روسيا، بروسيا و النمسا) لإيجاد حل للازمة اللبنانية على اثر حوادث 1860 م ، فطرحت روسيا تقسيم لبنان إلى ثلاث مقاطعات ، لكن الدول الأخرى عارضت ذلك ،كما رفضت الدولة العثمانية اقتراحا فرنسيًا بعودة الشهابيين إلى الحكم ، و أخيرا تقدم مندوب بروسيا بمشروع يقضي بتعيين حاكم مسيحي من قبل السلطنة مع وضع اليد المباشرة على الجبل ،وانتهت الاجتماعات برفع مشروعين جديدين إلى الباب العالي ليختار بديلا لنظام القائمقاميين ، فتم اختيار النظام القاضي بتعين حاكم واحد على لبنان و عدم تقسيمه إلى مناطق[1].

اقرَ النظام الجديد في 9 جوان 1861م ، و بموجبه أصبح لبنان " متصرفية " يتولى إدارتها حاكم مسيحي عثماني يعينه الباب العالي و يكون مرجعه إليه ،ثم عدل هذا النظام في 9 سبتمبر1864م، و أصبح لبنان بموجبه مقسما إلى سبعة أقضية هي: الشوف، المتن، كسروان [2] ،

[1] جميل موسى النجار :المرجع السابق،ص214.
[2] المرجع نفسه ، ص215.

البترون ، الكورة ، جزين و زحلة ، و أضيفت إليها مديرية مستقلة هي مديرية دير القمر ، و قسمت الأقضية السبعة إلى مديريات ، و عرف هذا الن ظ ام ب " بروتوكول 1864م "،والذي كانت له إيجابيات وسلبيات مختلفة ، بدا بإيجابياته والمتمثلة في:

01_ إلغاء امتيازات الإقطاعيين، و منح حقوقا متساوية لجميع الرعايا اللبنانيين من مختلف الدرجات

02_أعاد وحدة لبنان و جعله بلدا مستقلا على رأسه حاكم بضمانة الدول الكبرى (فرنسا ، بريطانيا ، روسيا، بروسيا، النمسا)،وأنضمت إليها ايطاليا سنة 1868م.

03_اقر اعتماد الانتخابات على الطريقة الديمقراطية في تأليف المجلس الإداري الكبير ، الذي أصبح ذا صفة تمثيلية يتوب بها عن الشعب في تصريف شؤون الحكم [1].

04_جعل القضاء مستقلا و قائما بنفسه .

05_اقر فصل الجندية في لبنان عن الجندية العثمانية فصلا تاما ، و منع العسكر السلطاني من دخول لبنان إلا بطلب من المتصرف.

بالإضافة إلى وجود سلبيات منها:

01_كان نظاما مرتجلا و موضوعا من غير رَوؤِيَة و تعمق .

02_جعل الحاكم غريبا و مدته محدودة و مرجعه اسطنبول .

03_أتاح للمتصرف التصرف على هواه بمقدرات البلاد ، فاستغل بعض المتصرفين ذلك من اجل تحقيق مصالحهم الشخصية [2].

لبنان في عهد المتصرفية تعاقب على حكمه ا بموجب البروتوكول ثمانية متصرفين مسيحيين ، وثلاث مسلمين، و دام عهد المتصرفية حتى العام 1918م ، تاريخ انسحاب العثمانيين من لبنان و دخول الحلفاء إليه.

بدا عهد المتصرفية في لبنان بوصول "داوود باشا "(1861-1868) إلى الحكم فكان قد بدا عهده بمواجهة بعض الصعوبات ، لاسيما في التعاطي مع القائمقام السابق للمنطقة الشمالية [3]

[1] جوزيف صقر: قصة وتاريخ الحضارات لبنان من عصر ما قبل التاريخ حتى عهد المتصرفية،ج02-01،(1999-1998)،ص 208.
[2] المرجع نفسه، ص 211.
[3] المرجع نفسه ، ص212 .

"يوسف بك كرم " حيث انفجر الوضع نتيجة عدم اعتراف الشماليين بحكومة "داوود باش ا"،بعد نهاية ولاية داوود باشا في العام 1864م ، أدخلت تعديلات على نظام 1861م ، و جددت ولايته خمس سنوات عمل "داوود باشا "خلال عهده على تنظيم الدوائر ، و الأق اليم ،و ترتيب مجالس المحاكمة و الوكلاء ،و تعيين حكام الأقضية ،كما شكل فرقة عسكرية من 1500 جندي و قسمها إلى فرسان و مشاة كما اشترى سرايا دير القمر ، وقصر بيت الدين و جعله مقرا ضيق لح كمه ، انتهى عهد" داود باشا ليخلفه "فرنكو باشا "(1868 – 1873) بدأ ولايته بتنازله عن أراضي البقاع و تحويل إدارته إلى ولاية سوريا . ،و تميزت فترة حكمه بالهدوء و السلام فقام ببعض المشاريع ، أهمها : إنشاء إحدى عشر مدرسة حكومية مجانية ، تنشيط الزراعة و خصوصا الأشجار المثمرة واستحداث طرقات جديدة و بناء عشرين جسرا إقامة مصنع للسجاد في دير القمر ، توفي في 18 فيفري 1873م ،بعد إصابته في مرض في القلب و دفن في الحزمية ،وخلفه رستم باشا الذي كان حازما و عادلا و مقدسا للقانون ، بدا عهده بالتشديد على منع ذوي النفوذ من التدخل في شؤون القضاء رعاية للعدالة ، و في ضرب يد الإجرام من دون هوادة ومن ابرز انجازاته[1] :

- تأسيس 72مدرسة حكومية .
- إقامة عدد من الجسور ، أبرزها جسر " الباشا " .
- إنشاء عدد من المخافر لتوطيد الأمن و بناء سجن جديد .

أقيل من منصبه على اثر خلافه مع جهات دينية لبنانية ،فخلفه" واصا باشا "الذي واصل سياسة أسلافه لناحية الاهتمام بشق الطرقات، و إقامة الجسور و المخافر ، واهتم بالتنقيب عن الآثار ، وألغى نظام المحاكم و ربطه بالنظام المعمول به في اسطنبول ، توفي في 29جوان 1892 بعد معانات مع المرض فخلفه "نعوم باشا"(1892 – 1902) واستهل عمله بحملة تطهير واسعة في دوائر الحكومة شملت الموظفين الذين عرفوا بالفساد ، و خصوصا الكبار منهم ،وفرض رقابة شديدة على الموظفين الآخرين ، فأقام سير العمل في حكومته مما أرضى اللبنانيين ، تميز عهده بالأمن و السلام ، و عرف عنه تشبثه بامتيازات لبنان و شخصيته الرسمية ، أنشا سرايا متعددة في عدد من المدن ، و شق عدد من الطرقات و بني بعض الجسور و ظل في الحكم حتى نهاية ولايته الثانية [2]،فجاء بعده "مظفر باشا "(1902 –

[1] جوزيف صقر:المرجع السابق ، ص 213 .

[2] المرجع نفسه، ص 213 .

1908) انتشرت في عهده الفوضى وكثر الإجرام و شاع الفساد و ازدادت القلاقل ، و كان يكثر من سياسة عزل الموظفين من دون مبررات ، و أحيانا كانت الوظائف تمنح لمن ليسوا أهلا لها ، و نتج عن ذلك سقوط هيبة الحكم فقلت ثقة الناس به توفي عام 1908م بعد معاناته مع المرض (1883- 1892)، خلفه "يوسف باشا"(1908 - 1912م) وهو نجل المتصرف الثاني فرنكو باشا سار في سياسته سير المتكتم و نهج نهجا هادئا و عامل الجميع بالمساواة فرضي الشعب عنه و احترمه ، قام بحملة تطهير في الإدارة و المحاكم ،و عزل بعض الموظفين، و فرض رسوما إضافية على الدعاوى و العرائض،لكنه تمادى في القيام بأعمال تخالف نظام البروتوكول ، مما اللب اللبنانيين ضده . فعمد إلى انتهاج سياسة انتقامية تجاه معارضيه ، لكن المعارضة صمدت في وجهه حتى نهاية ولايته في 12 جويلية 1912م ، فخلفه" أوهانس باشا" (1913- 1915م) بعد فترة قليلة من استلامه الحكم نشبت الحرب العالمية الأولى ، و دخل الجيش العثماني إلى لبنان بقيادة جمال باشا فأصبح الحكم بيده و بعد نكبة الأرمن على أيدي الأتراك ، أصبح أو هانس باشا ، و هو ارمني ، من المشكوك بإخلاصهم فاجبر على الاستقالة في صيف العام 1915م[1].

إبان الحرب العالمية الأ ولى مرت لبنان بحالة استثنائية لنظام المتصرفية وذلك بتعيين ثلاثة متصرفين استثنائيين، أولهم : "علي منيف بك" ، مستشار وزارة الداخلية العثمانية ، دامت فترة حكمه من 25 سبتمبر 1915 إلى 15 ماي 1916م، و جاء بعده " إسماعيل حقي بك "(15 ماي 1916م إلى 14 جوان 1918م و المتصرف الأخير كان " ممتاز بك " 25 أوت إلى 30سبتمبر 1918م ، و مع نهاية عهده ، انسحب الجيش العثماني من لبنان الذي دخلته جيوش الحلفاء[2].

لم يشهد عهد المتصرفية أية أحداث أمنية بارزة ، مما أضفى على البلاد هدوءا و استقرارا لم يشهد مثلهما لبنان إلا في فترات من عهد الأمير المعني فخر الدين الثاني ، و عرفت البلاد أجواء من الحرية التي أمنت للجميع ، شهدت لبنان هجرة إلى إفريقيا و القارة الأمريكية و خصوصا الو. م .أ و البرازيل ،وكانت قد بدأت في أواسط القرن التاسع عشر مع المواطن "انطونيوس البشعلاني " من صليما سنة 1854م ، بعد الحديث عن الازدهار الاقتصادي و فرص العمل في هذه الدول ، و

[1] جوزيف صقر:المرجع السابق ، ص213 .
[2] المرجع نفسه ، ص 214.

برع اللبنانيون في المهجر بالأعمال الاقتصادية و المالية ، و حتى الفكرية و الأدبية و السياسية . و على الصعيد الاقتصادي ، تراجع مستوى الزراعة بسبب فصل سهل البقاع عن المتصرفية و بسبب ارتفاع الضرائب على المنتجات المصدرة إلى الخارج بالإضافة إلى تذمر السكان عن دفعها ، فيما اقتصرت الصناعة على بعض الحرف اليدوية ، وصعوبة ظروف العيش للحرفيين ، وصعوبة الحصول على المواد الأولية لصناعاتهم ، كانت التجارة في حالة ركود بسبب وجود المرافئ الكبرى خارج حدود المتصرف.[1]

المطلب الثالث :التنظيم السياسي في فلسطين وشرقي الأردن

بعد أن انتهى العهد المملوكي على اثر سقوط بلاد الشام في أيدي العثمانيين وسيطرته م على بلاد البلقان ،وآسيا الصغرى ،والبلاد العربية بكاملها تقريبا ،أصبحت بلاد الشام ومنها الأردن وفلسطين ولاية عثمانية ،عاصمتها دمشق وتضم متصرفية حماة ، وحوران وشمال الأردن والكرك سنة 1887م .

في القرنيين السابع عشر والثامن عشر، أبدت الدولة العثمانية لشرق الأردن وفلسطين اهتمام بمصلحة أهل البلد كونها طريق الحجاج القادمين من بلاد الشام نحو الأماكن المقدسة (فلسطين ومكة)،فبنت القلاع ،وحفرت الآبار لتامين المياه ، ثم اتفقت مع مشايخ البدو ليتعهدوا بسلامة القوافل "قوافل الحج "وقوافل التجار"ويؤمنون طريق الحجاج وكان هدف الدولة العثمانية الاحتفاظ بمكانتها .[2]

فكما ذكرنا فان بلاد الشام في عام 1887م قسمت إلى ثلاث ولايات وسنجقين اثنين ،هي حلب في الشام ،وولاية بيروت في الغرب وولاية سوريا في الشرق ،وسنجق جبل لبنان وسنجق القدس بولاية طرابلس في الجنوب، وكان ذا كيان إداري متميز .[3]

---

[1] جوزيف صقر، المرجع السابق،ص214- 215

[2] هدي بوفرحات: قصة وتاريخ الحضارات العربية "العراق ،الاردن" ،ج 9-10، 1998، ص139.

[3] جورج انطونيوس: يقظة العرب ،تاريخ حركة العرب القومية ،تق : نبيه امين فارس ،تر:ناصر الدين الاسد ، احسان عباس ،ط8،دار العالم للملايين،بيروت، 1687 ،ص132.

وكانت الدولة العثمانية توجه الحملات العسكرية إلى المناطق التي تحصل فيها اضطرابات أو احتجاجات ،فتفرض على المواطنين "الخوة "[1]كل ذلك أدى إلى تدهور الأوضاع .وأصبحت اللغة التركية اللغة الرسمية في البلاد بدل من العربية ،وفرض الأتراك في ولاية شرق الأردن جمع الأموال، وتجنيد الرجال في الجيش العثماني ، وكل هذا دفع أهل الكرك الذين انتفضوا ضد حكم الأتراك سنة 1905م،فرفض فيها الأهالي دفع الضرائب التي أثقلت كاهلهم .[2]

حافظت الدولة العثمانية على الطوائف بفلسطين وشرقا لأردن ،فكان المجتمع ينقسم إلى طوائف لكل منها دستورها غير المكتوب من عادات وتقاليد موروثة ولها شيخ يتولى تنظيم علاقاتها بالدولة مما ساعد العرب على الاحتفاظ بمقوماتهم الثقافية ،وفي عهد السلطان محمود الأول وقعت معاهدة (1740) بينه وبين" لويس الخامس عشر " الفرنسي ،فتحت بموجبها فلسطين لجميع المسيحيين الوافدين تحت حماية العلم الفرنسي ،وفي هذه المعاهدة أساس الحماية الفرنسية للكاثوليك في الإمبراطورية العثمانية ،وفي الربع الأخير من القرن الثامن عشر ،دخلت روسيا مع العثمانيين حربا طويلة انتهت بهزيمة العثمانيين ،وبذلك دخلت الدولة العثمانية مرحلة الانهيار ، واتصف العهد العثماني وخصوصا في مرحلته الأخيرة بالقوة والبطش ،وقد ازداد هذ ا البطش بعد فشل التجربة الدستورية مرتين (1876-1908م)، أما الصلة بين فلسطين والاسيتانة فقد بقية بارزة حتى نهاية عهد السلطان عبد الحميد[3].

المبحث الثالث : الحركات الانفصالية ببلاد الشام قبيل القرن 19 م.

لقد عرفت بلاد الشام حركات انفصالية ،والدخول في صراعات أدت إلى تغيير الأوضاع ببلاد الشام خلال القرن التاسع عشر فشهدت خلاله لبنان الإمارة الشهابية وثورة علي بك الكبير بمنطقة عكا، أما حركة ظاهر العمر بصفد بالإضافة إلى حركة احمد باشا الجزار التي كانت ب"صيدا، عكا ودمشق ".

[1] الخوة :هي ضريبة ابتزازية.

[2] هدي بوفرحات : المرجع السابق ،ص140.

[3] بيان نهوض الحوت : فلسطين –القضية –الشعب –الحضارة التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (1917م) ،ط 1، دار الاستقلال للدراسات والنشر ،بيروت ،1991م ،ص131.

المطلب الأول :الإماراة الشهابية [1]1697م-1825م

انقطعت السلالة المعينية بوفاة الأمير احمد المعيني سنة 1697م ،وترك الباب العالي للبنانيين أن ينتخبوا من يشاءون على كرسي الإمارة ،فاجتمع أعيان البلاد في بلدة "السمقانية "بالقرب من بعقلين ،واتفقوا على انتخاب أمير شهابي ابن شقيقة ألأمير احمد ألمعيني . وتم رفع القرار إلى والي صيدا ليرفعه بدوره إلى لاستانة مع التأكد بان الأموال الأميرية سترسل حالا مع المتأخر منها ، وتحت تأثير الأمير [2]على الباب العالي والذي دعا إلى إسناد الإمارة إلى الأمير "حيدر الشيهابي " تماشيا مع المبدأ الوراثي القائل بان ابن الابنة أحق بالوراثة من ابن الشقيقة، و لم يكن الأمير حيدر يتجاوز الثانية من عمره ،وبناء على ذلك قرر الباب العالي أن يتولى" بشير الشيهابي" الحكم نيابةً عن الأمير حيدر إلى أن يبلغ سن الرشد[3] .

لما استلم الأمير الأول بشير الشيهابي الإمارة سنة 1697م جعل مقر حكمه في دير القمر عاصمة المعينين القديمة ،وتولى حكم المقاطعات الموالية للمعينين ،وحاول الحفاظ على وحدة لبنان واستقلالها والعمل على توسيع حدودها ،كما كان الأمير بشير حسن السلوك مع الناس ومع الولاة مما اكسبه حبهم مثل والي صيدا الذي قدم له هدايا وساعده للقضاء على الشيخ " مشرف بن علي " فولآه على جبل عامل وصفد ،وقد عين عليها ابن أخيه ا"لأمير منصور"،كما تمكن الشيخ من حل النزاع بين والي طرابلس ومشايخ أل حمادة ،حكام بلاد جبيل ،والبترون،فأعادهم إلى مناطقهم وتكفل بجمع الضرائب .وفي عام 1707م توفي مسموما أثناء قيامه بزيارة حاصبيا عند الأمير نجم وتناول عنده الطعام ، وقيل ان الذين كانوا يتولون وصيه الأمير حيدر هم الذين سمموه ،ومات الأمير بشير الأول في صفد ودفن في صيدا في مدافن بني معين ، بوفاة "بشير الشيهابي " استلم الأمير "حيدر الشيهابي " (1707-1729) الإمارة وكان عمره إحدى وعشرين سنة ،فشهدت صيدا ظروف طرأت أدت إلى تغيير سياسة الولاية في صيدا فعزل الوالي" أرسلان باشا"[4] .

---

[1]. الاسرة الشيهابية :يعود أصل الشهابيين إلى بني مخزوم من قبيلة قريش ويعود نسبهم إلى مالك الحارث الملقب بالشهاب .استقروا بحوران في قرية تسمى الشهباء بعد هجرتهم من الجزيرة حوالي 623ه، ثم انتقلوا إلى وادي التيم سنة 1173هحيث شهدوا بها صراعات مع الصليبيين.

[2]هو الأمير حسن بن فخر الدين.

[3]جوزيف صقر: المرجع السابق، ص182

[4] المرجع نفسه، ص183.

وعين مكانه "بشير باشا "وسلم "لظاهر العمر" مقاطعة صفد ،وسلم جبل عامل الذي سلمه إلى آل صغير ، وأغدق أمير صيدا بالهدايا ثم عمل على استعادة جبل عامل ،فواجه معارضة آل الصغير ،ولكنه تمكن من إخضاعهم وتعيين الشيخ" محمود أبو هرموش" واليا عليهم . ونظرا لسوء معاملة السكان من قبل هرموش استدعاه الأمير ،إلا انه فر إلى صيدا والتمس من واليها الحماية ومنحه لقب باشا وعين الأمير "يوسف علم الدين اليمني" على الإمارة وحرك اليمنيين ضد الأمير حيدر الذي اضطر إلى ترك الإمارة والتوجه إلى الهرمل ، تاركا عائلته في فتوح كسروان ، وتميز حكم الأميريوسف علم الدين بالقسوة فنكل بالقيسيين وزاد الضرائب .فكان لابد من عودة الأمير حيدر ، فعاد والتف حوله القيسيون،فيما كان مع هرموش الحزب اليمني طلب المساعدة من والي صيدا بشير باشا [1] .وفي عين دارا فاجأه الأمير حيدر،فوقعت معركة عين دارا اظهر فيها اللبنان ون تفوقهم على قوات نصوح باشا .وانتهت بانتصار القيسية .وانهزام نصوح باشا وبشير باشا ووقع محمود باشا في الأسر .[2]

تمكن الأمير حيدر من توطيد دعائم السيادة الشهابية والقضاء على النفوذ اليمني في لبنان ، كما عمد إلى تعزيز النظام الإقطاعي، وبسط سيطرته على مختلف المناطق ، وحمل أبنائها لقب أمراء وشاركهم في ذالك أسرتا آل أبي اللمع و أل ارسلان،لقد كان عهد الأمير حي در يتميز بالرخاء والعز فعمد إلى تخفيض الضرائب ،وضمن ولاء جميع الأسر الإقطاعية فساد الأمن والاستقرار حتى اعتزاله سنة 1729م ثم توفي بعد ذلك سنة 1733م،و تولى الحكم من بعده ابنه "الأمير ملحم "(1729-1754) فواصل سياسة والده فخفض الضرائب ،ونشر العدل وتوسع في جبل عامل شرق صور والسبب هو محاولة الشيعة الخروج عن طاعة سعد باشا والي صيدا بامتناعهم عن الضرائب ،كما شارك الأمير ملحم في معركة بير الياس 1748م وأحرز فيها النصر على جيش اسعد باشا العظم والي دمشق وسعد العظم والي صيدا وانصرف الأمير أيضا إلى تشجيع التجارة وبناء القصور ،وفرض النظام وأقام العدل حتى أصيب بالمرض سنة 1754م ، فاعتزل الحكم لمصلحة أخويه احمد ومنصور ،وانتقل إلى بيروت وأقام بها إلى غاية وفاته 1761 م[3]، والعهد الذي حكم فيه احمد ومنصور الذين عرفا بالحكم الثنائي إلى غاية 1763م حيث ظهر خلاف بين الأميرين إذ حاول كل واحد منهما الاستقلال

[1] جوزيف صقر :المرجع السابق ، ص184.

[2] وقتل فيها ثلاث أمراء من أمراء علم الدين وأعوانهم من بينهم أربع قتلهم الأمير حيدر في الباروك .كما أمر الأمير حيدر بقطع لسان أبي هرموش وإبهامه و لم يقتله احتراما للقب الباشوية ، أما الذين نجوا من المعركة ففروا إلى حوران بحيث كونوا النواة الأولى الدروز هناك.

[3] المرجع نفسه ، ص185.

بالإمارة ، فكان الأمير منصور مستندا إلى الجنبلاطية بزعامة" الشيخ علي " ومقره بيروت . أما احمد فكان معتمدا على اليزبكية بزعامة "الشيخ عبد السلام عماد"،فشهدت البلاد خلال هذه الفترة سلسلة من الاضطرابات الأهلية وتأثر لبنان بحركة "علي بيك الكبير " في مصر و "ظاهر العمر " في فلسطين ،في حين برز الأمير يوسف ابن الأمير ملحم كزعيم للمعارضة ضد الأمير منصور مدعوما من والي دمشق"عثمان باشا" ،فاضطر منصور إلى الاستقالة في 1770 لمصلحة خصمه الأمير يوسف.[1]

تولى الأمير يوسف الحكم بين(1770-1780م) في مرحلة كانت المنطقة تشهد العديد من الإحداث ،أبرزها حركة علي بيك الكبير في مصر وظاهر العمر في عكا الذي احتل صيدا ، وحارب شيعة جبل عامل ،ما الأمير يوسف الشهابي فقد تحالف مع والي دمشق وتمكن من إعادة صيدا من ظاهر العمر عام 1775م وتراجع هذا الأخير إلى عكا حيث لقي حذفه على اثر حملة وجهتها الدولة العثمانية فدخل إلى عكا في 16 أوت 1775م فقطع رأس ظاهر العمر، وأرسله إلى اس تانبول ليعلق على سور السلطا ن ليخلفه "احمد الجزار" الذي تميز بالغدر ،الاستبداد ،الظلم والطمع وكان الأمير يوسف قد وسع حدوده إلى الشمال والبقاع، وتميزت علاقة الأمير يوسف والجزار بالتشنج ففي عام 1778م عزل الجزار الأمير يوسف بعدما وعده بالمال ، وعين أخويه بمساعدة الجنبلاطيين وبعد معركة بيير الياس 1788م والتي هزم فيها الأمير يوسف قرر الاستقالة من منصبه وبتدخل الجزار الذي أمر بسجنه في عكا بإيعاز من الأمير بشير ،ثم أمر بشنقه سنة 1791م مع مدبره عندور السعد [2].

تولى الحكم بشير الثاني الشهابي[3] في إمارة الجبل بعد استقالة الأمير يوسف سنة 1788م واستمر في منصبه بين عزل وعودة حتى عام 1840م ،وفي ظل سياسة الجزار لم ينعم بشير الشهابي بالاستقرار والهدوء حيث عمت اضطرابات داخلية وفي عام 1798ماحتل الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت مصر، ثم فلسطين وعكا واتجهت قوات عثمانية وأسطول بريطاني إلى المنطقة لمساندة مدينة عكا ،وعلى اثر ذالك قام بونابرت بمراسلة بشير الشهابي طلبا لمساعدته ، إلا أن الجزار تمكن من معرفة

---

[1] جوزيف صقر :المرجع السابق ص185 .

[2] المرجع نفسه ، ص 186 – 187.

[3] بشير الشيهابي : من مواليد1767م هو ابن قاسم عمر شهاب وتوفي والده ،وكان قد اعتنق المسيحية وهو في شهره الرابع حكم بين (1788-1840. تزوجت امه ثانية فيما اعتنت خادمت ا بيه بتربيته وشقيقه حسن وسكنت في برج البراجنة قريبا من امه .ثم انتقل الامير بشير الى دير القمر وعاش في كنف الامير يوسف الذي اتكل عليه في المهمات الصعبة تزوج الامير بشير من الست شمس، وهي ارملة شيهابية غنية ورزق منها بثلاث اولاد وبعد موتها تزوج شركسية تدعى حسن جهان ورزق منها بابنتين.

الأمر فحال دون ذالك مما أدى إلى فشل حملة بونابرت عل ى عكا 1799م، فأجاز الصدر الأعظم للأمير بشير ضم مناطق وادي التيم وبعلبك والبقاع وجبل عامل إلى الإمارة وإلحاقه مباشرة بالباب العالي، وهذا الأمر لم يرق للجزار فأرسل جيشا وعزل الأمير وعين مكانه أبناء الأمير يوسف ،وبتدخل الصدر الأعظم عاد بشير بعد أشهر إلى الحكم وبقي تحت سلطة والي عكا حتى وفاته سنة 1804م،بوفاة الجزار استلم الحكم "سليمان باشا " (1804-1819م)الذي صادق الأمير بشير فأمده بالمال والرجال ،وقام بتقوية نفوذه ووطد أركانه كما ساعد سليمان يوسف الكنج والي دمشق ، في مواجهة الوهابيين حين اقتربوا من الولاية ،وبتمرد الكنج استطاع بشير من هزيمته وتسليم دمشق إلى والي الجديد،ثم ضم بيروت إلى الإمارة وقضى على مناوئه من الالتحاق عبد الملك وارسلان كما قضى على أبناء يوسف[1].

وبعد وفا ة سليمان 1819م عين مكانه "عبد الله باشا"فأراد هذا الأخير إخضاع الأمير بشير لنفوذه ميما أدى به إلى التنازل عن الحكم وتوج ه إلى حوران واستلم الحكم مكانه الاميران حسن وسليمان الشيهابي وشهيد ت هذه الفترة فوضى في أرجاء الإمارة , وبموافقة الأمير عبد الله باشا على عودة الأمير بشير في جوان 1821م، وفى عام1822م حصر ولاية دمشق بطلب من عبد الله باشا ، ونظرا للإحداث التي جرت اضطر الأمير بشير للمغادرة،وبعد عام نال بشير العفو من الباب العالي بعد وساطة محمد على وتمكن الأمير من القضاء على خصومه وهرب الشيخ جمبلاط إلى حوران وصادر الأمير أملاكه وهدم قصره مما دفعه إلى مواجهة عسكرية في السمقانية 1825م، حيث انتصر الأمير وهرب الشيخ إلى دمشق وتم إلقاء القبض عليه من قبل عبد الله ثم أعدم وقيل أن الأمر كان بطلب من الأمير بشي[2]ر.

المطلب الثاني : ثورة علي بيك الكبير1771م-1775م

في عهد "مصطفى الثالث" 1774م أعلن "علي بيك" الملقب بشيخ البلد العصيان على والي مصر ، و طلب علي بيك نجدة من قيصر روسية ليمده بالذخائر و الأسلحة ،فاحتل علي بيك غزة و نابلس و القدس و يافا و دمشق ، و احتلت قواته بلاد الشام عام 1771م بالاتفاق مع ظاهر العمر

[1] جوزيف صقر :المرجع السابق ، ص 190 .

[2] المرجع نفسه ، ص192

والي عكا و بالاستناد على نجدة الروس مستغلين ضعف السلطان ،و ضعف عثمان باشا والي الشام ، و قد استهدف علي بيك الشام لعلمه بنقمة سكان الر ي ف على العثمانيين ، فسعى لتخليص صيدا و بيروت منهم ، و قدم له زعماء فلسطين طاعتهم ، و استمر في مسيرته شمالا ، و أرسل إنذارا لعثمان باشا يأمره فيه بمغادرة دمشق و انتصر جيش علي بيك على عثمان باشا و على النجدة العثمانية التي أرسلها السلطان دعما لعثمان باشا .

و كان علي بيك يستعد للزحف حتى حدود الأناضول لطرد العثمانيين ، و كاد يوفق في حملته هذه لولا انه اضطر للعودة إلى مصر لإخماد ثورة احد قواده " محمد بيك أبي الذهب "الذي انسحب من جيشه فجأة و رجع إلى مصر ،لكن أبا الذهب انتصر على علي بيك و أسره و قطع رأسه، وسلمه مع الضباط الروس المأسورين إلى الوالي العثماني الذي أرسلهم بدوره إلى القسطنطينية ، و اضطربت دمشق وذالك لصراع الولاة فيما بينهم عليها ، و لم تهدا إلا بأحمد باشا الجزار الذي دخلها (1776 – 1804م) و حزم موقفها ، و كان أقوى وال مر بالمنطقة ،و غدت الشام شبه مستقلة في عهده ، كما كانت مصر كذلك في عهد محمد علي بيك [1]

المطلب الثالث : ثورة ظاهر العمر[2] 1771–1775م

لقد مرت ثورة ظاهر العمر بمراحل :الدور الأول مابين 1689م و1730م وتشمل نشأته في منطقة عرابة البطون أما الدور الثاني فكان مابين 1730الى 1734 ويشمل إقامته في طبريا واستيلائه على بلاد صيدا والجليل كما طمح ظاهر العمر بعد وفاة أبيه عمر الزيداني حاكم صفد بان يزيد نفوذه في المنطقة ، بحيث كانوا على أتم الاستعداد لتأييد أي زعيم يعمل على تحريرهم من الشهابي الذي كان يحاربهم ، و ما أن اشتد الصراع بين ظاهر و الشهابي ، كما أن آل العظم – حكام الشام – كانوا يضايقونه من ناحية الشرق ، لكن غنى منطقته مكنه من أن يمد نفوذه على عكا و صيدا[3] ، و يشارك أبا الذهب في التوسع و الفتوح ، إلا أن عبد الحميد الأول أرسل جيشا لملاحقة

[1] محمد تونجي:المرجع السابق،ص 58.

[2] ظاهر العمر : هو ظاهر بن عمر الزيداني عربي الاصل من قبيلة بني زيدان النازلة في معمرة النعمان بين دمشق وحلب و لم يكن يعرف من هذه القبيلة سوى والد ظاهر العمر الذي عينه بشير الشيهابي ملتزما على ولاية صيدا 1698م, وكان ظاهر اصغر بنو زيدان ولد عام 1689م واشتهر باخلاق الشجاعة والذكاء، انظر احمد ياغي :العالم العربي في التاريخ الحديث ،ص 108.

[3] المرجع نفسه، ص59

ظاهر ، فانتصروا عليه، و استطاعوا أن يأسروه و يقتلوه في صفد ، كما قتل أبو الذهب على أسوار عكا . و الذي ضعف ظاهر العمر تواطؤ أبنائه عليه ، و طمعهم في السلطة خلفا لأبيهم ، أما الدور الرابع فبين(1770م-1775م) بعد أن اشتد النزاع بين ظاهر العمر ووالي دمشق عثمان باشا الكرجي و حين قضي على ظاهر العمر سنة 1775م برز احمد باشا الجزار الذي كان في الأصل مملوكا ، و سرعان ما مد نفوذه إلى صيدا وولاية الشام في الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، و لكنه لم يكن ضد السلطان العثماني [1].

ومما يؤكد على ظاهر العمر عصيانه وتمرده على الدولة أثناء انشغالها بمحاربة روسيا، انه استعان بروسيا عدوة الدولة العثمانية اللدودة بتوجيه الأسطول الروسي إلى بيروت للقضاء على السفن العثمانية ولأشغال الأمير يوسف الشهابي بالدفاع عنها ، مما أدى إلى اعتباره خارجا على الخلافة الإسلامية ،بالإضافة إلى تعاون ظاهر العمر مع علي بك في مصر وذلك لدعم سلطته في بلاد الشام ولمواجهته والي دمشق ،وفي مارس 1773م عاد علي بك إلى مصر ومعه بعض قوات ظاهر العمر للمواجهة أبي الذهب في 28مارس من نفس السنة وانتهت بوفاة علي ب ي ك ، فردت الدولة العثمانية بإعداد جيش عام 1775م وعلى رأسه أبو الذهب للمواجهة قوات ظاهر العمر والاستيلاء على ممتلكاته،كما حاول الحصول على الاستقلال الذاتي في عكا كما وحاول أولاده من بعده وإعطائه حكم طبرية وبلاد الجليل[2].

المطلب الرابع :ثورة احمد باشا الجزار : 1775م- 1804 م

كان الجزار في مصر يخوم علي بيك الكبير حيث حصل على لقب بيك في مصر ، و قد لقب بالجزار لشدة بطشه ، ثم انتقل إلى الشام و كلف بحماية بيروت ، لكنه تمرد على حاكمها يوسف الشهابي ثم عينه السلطان حاكما على "عكا " ، ثم دخل صيدا حاكما عليها عام 1776م و منح رتبة وزير وقد انشغل طويلا بتوطيد الحكم و توسيع رقعة حكمه ، و إخضاع المتاولة واخذ منهم مدينة صور، و اخضع الجبل واتخذ عكا مقرا لحكمه[3] بينما كان مركز الولاية الرسمي هو صيدا ، و استطاع

[1] محمد تونجي: المرجع السابق ، ص60. انظر ايضا : محمدفريد بيك: تاريخ الدولة العلية العثمانية،تح :احسان حقي،ط1 ،دار النفائس ،بيروت ، 1981،ص 339.

[2] المرجع نفسه،ص59 .انظر ايضا :اسماعيل احمد ياغي :المرجع السابق ، ص 114.

[3] المرجع نفسه،ص115

الجزار أن يعضد جيش السلطان في القضاء على أبناء ظاهر العمر الثائرين 1776م ، و اخذ بعد ذلك صور و بيروت بأنواع من الذكاء والدهاء ، و شرع بعد ذلك بتقوية نفسه و حين احتاج إلى المال فرض الضرائب على المدن و أصحاب الجبل ، وابتز الفلاحين أموالهم ، فهربوا وكان ذلك سببا في تدهور الأوضاع الاقتصادية[1] .

و في هذه الأثناء تزعم الأمير بشير الشهابي بعكا فسعى الجزار لتحريك الأمراء ضده ،و لما توجس السلطان من زيادة سطوة الجزار حاول عزله إلا انه تحدى السلطان ، و طرد الباشا الجديد ، مما اضطر السلطان إلى التغاضي عن سلطته لضعف قوة الباب العالي ، و كان الجزار يطمح في ولاية الشام و لاسيما بعد وفاة محمد باشا العظم إلا أن السلطان عبد الحميد (1783م-1789م)وعين عليها "عثمان باشا الكرجي "وهو درويش باشا وبعد وفاته 1785عين الجزار واليا على الشام و باستعما ل نفوذه ودهاءه تحقق له طموحه بولاية الشام 1785م فنكبت دمشق بظلم النجار و جشعه في جمع المال ، و حين اشتكى الشعب من ظلمه عزله السلطان في السنة الثانية إلا انه استطاع أن يعود إليها عام 1791م، ومهما قيل في ظلمه و تعسفه فانه كان واليا قويا ، و داهية ،و يكفيه فخرا انه دحر حملة نابليون و أعاده من مصر خائبا ، ولم يحقق حلم فرنسة في مصر و الشام[2].

و أكد نابليون مكانته في قولته المشهورة:"لو لم يكن هذا الرجل لغيرت وجه التاريخ ، إلا أن المنية أدركته بعيد عودة نابليون فعاجلته عام 1804م، فأقام أهل عكا له ضريحا في وسط جامع البلدة ، ومما يلاحظ أن معظم الحركات الاستقلالية في بلاد الشام كانت تنبعث من جبل لبنان وفلسطين لمناعة المنطقة، ولسهولة اتصالها مع الخارج ،وكانت معظم الحركات الانفصالي ة في سوريا تتحالف مع مصر لمقاومة العثمانيون[3].

[1] محمد عبد الله عودة ، ابراهيم ياسين الخطيب :تاريخ العرب الحديث ،الاهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،1989،ص 43.

[2] محمد تونجي: المرجع السابق ، ص60.

[3] محمد عبد الله عودة واخرون: المرجع السابق ، ص 44-45. انظر ايضا :احمد ياغي :المرجع السابق ، ص 114.

خلاصة :

يمكن أن نستنتج من خلال ما درسنه في أوضاع بلاد الشام خلال القرن التاسع عشر انه تاريخ جدير بالاهتمام ،وذلك من خلال فهم الموضوعات المتعلقة بوضع الدولة العثمانية أو الحكم العثماني ببلاد الشام باعتبارها قوة لايستهان بها .

لقد كان الوضع السياسي ببلاد الشام بداية بالتنظيمات السياسية والإدارية من خلال تقسيمها إلى ألوية وسناجق، كما اعتمدت في حكمها على الأسرة العثمانية وهذا الاعتماد هو سبب قوة الدولة كل أعدها على تنمية اقتصادها نظرا لإطلالتها البحرية وخاصة بحر أزوف، ووفرتها على موانئ تجارية كميناء الاسكندرونة وطرابلس الذين كان لهم دور في تنوع التبادل التجاري، بالإضافة إلى أن المجتمع الشامي كان مجتمعا طبقيا نظرا لطبيعة نظام الدولة العسكري فعرفت بلاد الشام تفاعلا حضاريا .

فالولاة الذين حكموا بلاد الشام بما فيها سوريا ، لبنان ،فلسطين والأردن أبقت على الدولة العثمانية في هذه الولايات تنظيما إداريا كان قائما في عهد المماليك في بادئ الأمر، ثم ادخلوا عليها تعديلات جديدة بوضع الولايات كألوية يتبعها سنجق مع تعيين ولآت أتراك مما أدى إلى كبر الهو ة بين العثمانيون والشاميون خاصة بسبب ارتفاع الضرائب.

ونظرا لتعسف الحكم العثماني ببلاد الشام اضطروا في غالب الأمر إلى تغيير نظام الحكم مثل نظام القائمقام بلبنان ،إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث اضطرابات داخلية كثورة الفلاحين 1858م والذي أدى إلى التوجه إلى نظام المتصرفية الذي أضفى على لبنان نوع من الاستقرار.

بالإضافة إلى ذلك، فقد شهدت بلاد الشام حركات انفصالية وخاص ة مع نهاية القرن التاسع عشر والتي قادها علي بيك الكبير، وظاهر العمر، واحمد باشا الجزار، وإطماعهم التوسعية في إزاحة الحكم العثماني ببلاد الشام وهو الهدف الرئيسي الذي كانت ترمي إليه .

الفصل الثاني

حروب محمد علي باشا ببلاد الشام

المبحث الأول: حرب الشام الأولى (1831–1833)

المبحث الثاني : حرب الشام الثانية وانعكاساتها (1839–1841).

الفصل الثاني: حروب محمد علي باشا[1] ببلاد الشام

إن ضم بلاد الشام إلى مصر كان فكرة قد راودت ذهن محمد علي باش منذ العشرينات من القرن التاسع عشر،فقد كان دائم التدخل في شؤونها الداخلية كلما سمحت له الظروف بذلك،وفي كثير من الأحيان تحولت مصر إلى ملاذ للكثير من الشخصيات الساخطة على الدولة العثمانية هناك مثل" بشير الشهابي الثاني"أمير جبل لبنان سنة 1822،بعد خلاف مع السلطان العثماني وتوسط له هذا الأخير، وتدخل أيضا في دعم هذا الأمير ضد ثورة بشير جنبلاط الأمير الدرزي، وقد كانت أوضاع بلاد الشام المتردية ،وانهيار السلطة العثمانية عاملا مشجعا دفع بمحمد علي باشا إلى التفكير في ضم هذا الجزاء من الإمبراطورية العثمانية ما دامت هذه الأخيرة عاجزة على توفير الحماية لها.

ويمكن القول أن محمد علي باشا إعتبر أن رسالته هي إنقاذ الدولة العثمانية نفسها من خطر الخراب وإحداث تغييرات جذرية، ونفخ حياة جديدة فيها،ومن خلال ذلك يمكن أن نطرح الإشكال الأتي:

ماهي الظروف الدولية التي أحاطت بالصراع العثماني المصري على بلاد لشام ؟ ، وماهي الأسباب التي دعت محمد علي باشا للإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية؟ ، وماهي أهم التحديات الداخلية والخارجية التي واجهها الحكم المصري ببلاد الشام؟، وفيما تمثلت ملامح الصراع العثماني المصري على بلاد الشام؟.

[1] محمد علي باشا: ولد سنة 1769في مدينة قولة بإقليم مكدونيا عاش طفولته يتيماً منذ الرابعة من عمره ولما بلغ 30 سنة التحق بكتيبة البانية فغدا قائدا لها و التي دخلت مصر سنة 1801لينصب واليا على مصر.انظر مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا ، ص31.

المبحث الأول:حرب الشام الأولى (1831–1833م)

حاول محمد علي باشا في بادئ الأمر أن يستولي على بلاد الشام بالوسائل السلمية، فطلب من السلطان" محمود الثاني" [1] أن يكافئه بولاية سوريا بعد أن ساعده في حرب اليونان، لكن السلطان حنت بوعده [2] وعرض محمد علي باشا على الدولة العثمانية أن يدفع جزية سنوية مقابل أن يضم الشام لحكمه لكن السلطان رفض ذلك. [3]

وجمع سوء النية بين الباب ا لعالي والباشا، فكان الأول ينظر بعين الحسد إلى تقدم مصر، وما اكتسبته من المكانة العالية فضلا عن غضبه من محمد علي باشا لأنه رفض تقديم المساعدة له أثناء الحرب العثمانية الروسية سنة 1828م[4].

فكانت تلك الشرارة التي أشعلت نار الفتنة والقطيعة بينهما، وبفعل هذه النوايا السيئة التي يكنها السلطان العثماني ضد محمد علي باشا، وفي ظل ملائمة الظروف الدولية سارع هذا الأخيرإلى الإ ستعداد للإعلان لحرب ضد الدولة العثمانية [5].

المطلب الأول:الظروف الدولية قبيل 1831م

كانت الظروف الدولية التي قرر فيها محمد علي تنفيذ مشروعه التوسعي سعيا لإنشاء دولة عربية في المشرق العربي انطلاقا من مصر وصولا إلى بلاد الشام ملائمة جدا وتمثلت في :

أن بريطانيا كانت منشغلة بالإصلاحات الداخلية للإسراع في مواجهة المد الثوري الذي اجتاح فرنسا ,زيادة على انشغالها بالقضية البلجيكية، بينما فرنسا فقد انشغلت هي الأخرى بثورة 1830م في باريس وبمقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر.

---

[1] الإبن الأصغر للسلطان عبد الحميد الأول ولد في 20جوان1785وفترة حكمه(1808ـــ1839) إستمرت خلافته لمدة31سنة و10شهور، توفي يوم02جوان1839عن عمر يناهز55سنة.انظر محمد فريد بيك المحامي، المصدر السابق، ص398.

[2] محمد تونجي :المرجع السابق ،ص 61.

[3] لطيفة محمد السالم :الحكم المصري في الشام (1831- 1841)القاهرة ، 1990، ص20.

[4] عمر الاسكندري ،سليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر ,القاهرة ،1996م ،ص 172 .

[5] عبد الرحمن زكي : حملةالشام الاولى والثانية في صفحات من تاريخ مصر ذكرى البطل الفاتح ابرهيم باشا (1848–ـــ1949م)، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، القاهرة ،1990 م ، ص 65.

أما الدولة العثمانية فقد كانت أوضعها في هذه الفترة متدهورة فقد ترتب عن "الواقعة الخيرية" التي تم فيها القضاء على الجيش الإنكشاري على يد السلطان "محمود الثاني "سنة 1827م، و اهتزاز مقدرة الجيش العثماني، وتحطم الأسطول العثماني في نافرين سنة 1827م، ونشوب الحرب الروسية العثمانية وانتهائها بمعاهدة أدرنة سنة 1828م التي فقدت فيها الدولة العثمانية كثيرا من أراضيها.

أما بلاد الشام فقد تميزت أوضعها بضعف التواجد العسكري العثماني وما رافقه من اضطرابات سياسية وعسكرية مثل الثورات التي قامت على الباشا عبد الله كثورة دمشق 1831م ،وثورة الفلاحين في نابلس سنة1858م، أما مصر فإن أحوالها كانت نشطة وجيشها منظم وسمعة قائدها عالية فكانت كل المعطيات الداخلية والخارجية إلى جانب محمد علي باشا.[1]

المطلب الثاني:أسباب حرب الشام الأولى 1831-1833م

عادت الجيوش المصرية من اليونان بخسارة فادحة من دون أن تظفر بفتوح جديدة،وكان محمد علي، ينتظر تعويض تلك الخسائر، فاتجهت أنظاره لبلاد الشام، بعد أن رفض الباب العالي منحها له وأتخذ محمد علي باشا عدة ذرائع وأسباب لدعم تطلعاته في المنطقة.[2]

أولا:أسباب الحرب :

أ-الأسباب الغير المباشرة للحرب

منها الأسباب السياسية :

1-أقرار محمد علي شابا بأن حدود مصر الطبيعية من الشمال هي جبال طوروس الفاصلة بين سوريا والأناضول فاتخذ بلاد الشام كدرع وحاجز يقي مصر من الضربات مستقبلة[3].

2-السعي لإنشاء دولة عربية متحدة ومستقلة في منطقة المشرق العربي تضم إليها البلاد العربية في إفريقيا وأسيا ،ففي إفريقيا إستقل بمصر والسودان، وفي أسيا فتح معظم جزيرة العرب ،وبسط نفوذ الحكومة المصرية، وبطموحه إلى سوريا أراد أن يؤسس الدولة المصرية الكبيرة [4]

[1] الغالي غربي :دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288ـــ1916)،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، ص186.

[2] جميل بيضون وآخرون:المرجع السابق، ص 94.

[3] محمد عبد الله عودة واخرون:المرجع السابق، ص 53.

[4] محمد سهيل طقوس: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، ط2، دار الثقائس، بيروت، 2008، ص 350.

3- حماية الحدود الشرقية من التهديدات المتكررة من جانب القبائل البدوية التي كانت تمارس أعمال النهب، والسرقة على الطرق التجارية التي تربط بين مصر والشام.

4- نمو قو ات محمد علي باشاالعسكرية ،مما شجعه على منافسة الدولة العثمانية ،والدليل على ذلك إستعانة السلطان العثماني محمود الثاني به في قمع التمرد الوهابي في الحجار والثائرين اليونانيين في المورة [1].

5- شعر محمد علي باشا أن السلطان العثماني لن يسكت عن إنسلاخ مصر عن الإمبراطورية العثمانية وهو يتحين الفرصة لإرجاعها، والضامن الوحيد لاتقاء أي هجوم مد حكمه على الأقطار الشامية .

6- أدرك محمد علي باشا ضعف وأضمحلال السلطة العثمانية [2].

إضافة إلى الأسباب الاقتصادية: كان لمحمد علي باشا أغراض اقتصادية لضم بلاد الشام إلى مصر أبرزها :

1 -استغلال موارد الشام التي كانت مصر مفتقرة لها ولتغطية العجز الداخلي الناتج عن تجربة محمد علي التحديثية ،فهي في حاجة إلى الأخشاب للوقود وبناء السفن الحربية والتجارية وإلى الفحم والنحاس والحديد لترقية مصانعها .[3]

2 -مثلت بلاد الشام إقليما غنيا بثرواته الطبيعية وخاصة الزراعية منها،بالإضافة إلى اعتباره سوقا جديدة لتصريف ناتج صناعاته التي أقامها في مصر.[4]

ومن الأسباب الإستراتجية:

أدرك محمد علي باشا ضرورة ضم بلاد الشام إلى ممتلكاته نظرا لأهمية الشام لمصر من الناحية الإستراتجية كونه يتعلق بأمن البلاد عن طريق السويس، بالعمق الأمني للمصر حيث أن بلاد الشام تاريخيا هي بوابة الغزو على مصر [5].

---

[1] محمدعبد الرحمن الرافعي :عصر محمد علي ، ط05 ، دار المعارف ،القاهرة ، 1979 ، ص 219.

[2] الغالي غربي، المرجع السابق، ص 185.

[3] محمدعبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص 220.

[4] محمد عرابي نخلة : تاريخ العرب الحديث، ط1 ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة ، 2010، ص 189.

[5] عايض بن حزم الروقي :حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية (1831م-1839م) ،ط1 ،مكتبة الملك فهد الوطنية ، مكة المكرمة ، 1419، ص 71.

ب- السبب المباشر للحرب

انتحل محمد علي سببا أخر تمثل في إيواء عبد الله باشا والي عكا للفلاحين المصريين الذين فروا من القلعة العسكرية ،وذهبوا إلى عكا تخلصا من الجندية والضرائب، وأعمال الصخرة سنة 1831م والبالغ عددهم 6000مصري[1].

طالب محمد علي باشا والى عكا بإعادتهم ،فرفض هذا الأخير باعتبار أن المصريين من رعايا الدولة العثمانية ،ولهم الحق بالإقامة أينما شاءوا ,وهذا فضلا عن مساعدته قوافل التجارة على تهريب المتاجرين من الجمارك المصرية، وتمريرها من طريق سوريا مما أضر بالخزينة السورية فأجابه محمد علي باشا بأنه سيأتي لأخذهم بنفسه .

بدأت الاستعدادات المصرية، فعمل محمد علي باشا على تدعيم قوته في البلاد للاحتفاظ بها له ولذريته من بعده فأعد قوة حربية ،وأعاد بناء جيشه وفق النمط الأوروبي الحديث ،واستعان في سبيل ذلك بمعظم الدخل الوطني للشعب المصري وأدخل الكثير من الصناعات التي لم يعرف لها سابق ،وبذلك زاد الإنتاج الزراعي في الوقت الذي بدأت فيه توسيع المشروعات الحربية والتسليح[2].

لقد كانت حروب الشام حروبا دفاعية وهجومية ،أما كونها حروبا دفاعية فلأن محمد علي باشا يدرك أن الدولة العثمانية لاتفتئ تسعي لاسترداد مركزها في مصر ما وجدت سبيلا إلى ذلك ،وكذا إمتناع هذا الأخير عن مساعدة السلطان محمود الثاني في حربه ضد روسيا سنة 1828م فغضب السلطان عليه ،ولم يكن يحول بينه وبين ذلك سوء اضطراب أحوال الدولة العثمانية ،وإذا ما سنحت الفرصة فإنه لن يتردد في التخلص من خصمه .

لكنها كانت حربا هجومية أيضا،فالغرض منها التوسع والفتح إذ طمح محمد علي إلى ضم سورية منذ 1810م، وكان يأمل أن يصل إليها بموافقة السلطان العثماني الذي رفض ذلك[3] .

[1] عمرعبدالعزيزعمر:تاريخ المشرق العربي (1516_1922)،(د،ط)،داارالنهضة العربية،بيروت،ص374.

[2] محمدفريد بيك المحامي:المرجع السابق، ص375.

[3] محمدعبد الرحمن الرافعي:المرجع السابق، ص218.

لقد وعد السلطان محمود الثاني محمود علي باشا بأن يوليه الشام مقابل خدماته الجليلة للدولة العثمانية ليحس فيما بعد بقوته التي أصبحت تشكل خطر ا على الدولة العثمانية ،فأمتنع السلطان منحها إياه مما أدى إلى توتر العلاقة بين الطرفين حين أصر محمد علي باشاعلى اجتياح بلاد الشام بالقوة والسيف[1].

المطلب الثالث :مراحل حرب الشام الأولى 1833-1831م

كانت هذه الأسباب كافية ليعلن محمد علي باشا الحرب على الدولة العثمانية، ويسير حملة تأديبية لعبد الله باشا والي عكا لرفضه تسليم ألفلاحين الهاربين من مصر، فسار عن طريق العرش والبحر في أن وأحد لمحاصرة عكا ،وعين أبيه إبراهيم باشا قائدا عاما للجيوش وسليمان بك قائم مقام له[2].

بلغ تعداد الحملة المصرية على سورية في بدايتها 6آليات من المشاة و 4آليات من الفرسان وعددهم 30000مقاتل بأسطول مكون من 23 وحدة بحرية مجهزين ب40مدفعا وما يكفيهم من الذخائر والمؤن .[3]

زحف الجيش المصري باتجاه فلسطين في 10 أكتوبر 1831م حيث وصل إلى مدينة حيفا، وكانت الجيوش البرية قد سبقته ،وفتحت مدائن غزة ، يافا، نابلس، بيت المقدس، حيفا حيث أتخذها إبراهيم باشا مقرا لأعماله، ثم ارتحل عنها لمحاصرة مدينة عكا SAINT JEANS D'ACRE برا وبحرا لمدة 6 أشهر و11يوما[4]، ولما استعصت عكا على إبراهيم باشا إستنجد بالأمير بشير الشهابي الثاني الذي أسرع لنجدته بما لديه من الرجال والمال [5].

ولما علم الباب العالي بذلك اعتبره عصيانا، فأوعز لوالي حلب "عثمان باشا "بالسير لمحاربة إبراهيم باشا ، فكانت المواجهة جنوبي حمص ،وأنتصر هذا الأخير وسيطر على المدن الساحلية التي رحبت به، ثم عاد إلى عكا وشدد عليها الحصار، ودخلها بالقوة في 28ماي 1832م وأخذ عبد الله باشا أسيرا [6].

---

[1] منصور عبد الحكم : الدولة العثمانية من الامارة إلى الخلافة وسلاطين بني عثمان ،تد: طه عبد الرؤف سعيد ، ط1 ،دار الكتاب الغربي ،1913، ص 406 .

[2] محمد فريد بيك : المصدر السابق ، ص 449.

[3] محمدعبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص222.

[4] محمد فريد بيك : المصدر السابق ،ص،449.

[5] احمد طرابين : تاريخ المشرق العربي المعاصر ،(د-ط) ، المطبعة الجديدة ، دمشق ،1985م -1986م ، ص 90 .

[6] عبد المنعم الهاشمي : الخلافة العثمانية ، ط1، دار ابن حزم ، بيروت ،2004م ، ص240.

احتل إبراهيم باشا بلاد الشام بتاريخ 15 جوان 1832م ،وأنتصر على "خليلي محمد باشا" والي طرابلس الشام قرب حمص في 08 جويلية 1832[1]، حيث هزم الجيش العثماني الذي كان يقوده تسع باشاوات ،فخسروا ما يربوا عن أربعة الآلاف شخص مابين قتيل وجريح ، كما خسروا كل العربات ،بينما خسر المصريين مئة شخص فقط[2].

بعد انتصار إبراهيم باشا في حمص استولى على حماة وحلب ،واتجه نحو مضيق بيلان بجبل طوروس [3]، والذي كان المفتاح المؤدي إلى قلب الإمبراطورية العثمانية في أسيا الصغرى ,فكانت قوات الأتراك الرئيسية قد تجمعت بقيادةالسردار "حسين باشا "في 09 جويلية 1832 فهاجمهم إبراهيم باشا ودحرهم فهرب حسين باشا مع بقية القوات إلى أطنة.[4]

إنفتح الباب أمام جيوش إبراهيم للسيطرة على أسيا الصغرى ،فسيرت الدولة العثمانية أعظم قادتها مثل الصدر الأعظم" رشيد محمد باشا "وأسندت إليه قيادة الجيش العثماني ،ولكنه وقع أسيرا بيد الخيالة المصريين نتيجة لسوء الأحوال الجوية وبانتشار الخبر بين جنده إختل نظامه ،وانهزموا في تلك المعركة بتاريخ 21 ديسمبر 1833م.

وكانت هذه المعركة نقطة تحول حاسمة في حروب الشام الأولى لما ترتب عليها من نتائج وتبعات ،وجعلت طريق القسطنطينية سالكة أمام جيوش إبراهيم باشا لدخول عاصمة الدولة،والسيطرة على مضيقي البوسفور والدردنيل(*) [5].

فكان من نتائج الحرب المصرية العثمانية سنة 1833م إن إنقسم العالم إلى قسمين إثنيين حقيقيين على ارض الواقع التاريخي الضمني ،في حين كانا يظهران في إطار شكلي موحد تحت اسم الإمبراطورية العثمانية وهما:[6]

---

[1] يالمازا ازتوانا : تاريخ الدولة العثمانية ، تر: عدنان سليمان ، مج 2 ،ط1 ، منشورات مؤسسة فيصل لتمويل ، تركيا ، 1990م ، ص 16 .

[2] يوجين روجان : العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر ، تر: ابراهيم الخيدي ، ط1 ، 2011م ، كلمات عربية لنشر ، ص 105.

[3] جبال طوروس الواقعة بين انطاكيا و الاسكندرية.

[4] عزت لو يوسف بيك اصاف : تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشأتها إلى الان ، نق : محمد غرن ، ط1 ، مكتبة مدبولي ،1995م ، ص 119 .

[5] عايض الروقي : المرجع السابق ، ص 82-83. (*) أنظر الملحق رقم 03.

[6] سيار الجميل : تكوين العرب الحديث ، ط1 ، دار الشروق ، 1997م ، ص330.

القسم الأولى: بقي بيد السلطان العثماني واشتمل على ما تبقى من البلقان و الألاضول وأراضي العراق .

القسم الثاني : بيد محمد علي باشا ويضم مصر ،السودان ،سوريا ،فلسطين، لبنان، شبه الجزيرة العربية، كليكيا وكريت وبذلك شكلت إمبراطورية قوية أكثر سكانا و أقوى اقتصادا .[1]

أثمرت جهود الدول الأوربية في تحريض محمد علي باشا للثورة ضد الدولة العثمانية ،واحتلاله لسوريا ما أدى إلى وقوع مجابهة بينهما نتج عنها انتصار جيوش إبراهيم باشا الذي أثبت حنكته السياسة، واظهر كفائتة العسكرية ،وهذا ما نتج عنه تفتح أعين الدول الأوربية على خطورته ،وأمام هذا التغيير المفاجئ في موازين القوى إزداد التحرك الغربي وكانت البداية من [2]:

روسيا : شعرت أنها معنية بالأمر أكثر من غيرها، لأن سقوط الدولة العثمانية سيفتح المجال واسعا أمام محمد علي باشا لتهديد سواحلها الحيوية المطلة على البحر الأسود، وهذا ما سيقضي على الحلم الروسي القديم، و المتمثل في الوصول إلى المياه الدافئة عن طريق الاستيلاء على القسطنطينية ،ومضايق البوسفور والدردنيل ،فسارعت روسيا إلى عرض مساعدتها على الدولة العثمانية في صيغة تحالف عسكري معها لمواجهة الخطر المحدق بها، إذ طلب الباب العالي رسميا من روسيا التدخل لحماية الإمبراطورية العثمانية ،فأنزلت فعلا قواتها على شواطئ الأناضول المكونة من 15 ألف جندي لحماية الأستانة ، وفعلا دخل الأسطول الروسي مياه البوسفور في 20فيفري 1833 م ، فارتبات الدول الأوربية الأخرى من التقارب العثماني الروسي وأولها [3]:

بريطانيا : أولى هذه الدول لآن بقاء محمد علي في بلاد الشام والأناضول يهدد مصالحها المتمثلة في سعيها لتأمين طرق مواصلاتها إلى الشرق الأقصى والهند خصوصا وتأمين تجارتها معها سواء عن طريق السويس والبحر الأحمر، أو عن طريق الخليج العربي[4] .

فرنسا : استخدمت علاقتها الودية مع مصر لإقناع محمد علي بتسوية خلافه مع السلطان ،ومن جهته أرسل هذا الأخير بإيعاز من السفارة الفرنسية في اسطنبول مندوبا عنه وهو "رشيد بك"[5] لإجراء المباحثات مع محمد علي

---

[1] سيار الجمل :المرجع السابق، ص 330.

[2] رفيق شاكر النتشه :عبد الحميد الثاني وفلسطين ، ط3 ،المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ،1991م، ص64.

[3] عيسى الحسن :تاريخ العرب من بداية الحرب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية ، ط1 ، 2008، ص 240.

[4] المرجع نفسه، ص240.

[5] هو الذي صار فيما بعد الصدر الأعظم مصطفى رشيد صاحب الإصلاحات المشهورة .انظر محمد عبد الرحمن الرافعي،المرجع السابق،ص255.

باشا ،كما أرسلت الحكومة الفرنسية مندوبا عنها ليقوم بدور الوساطة بين الطرفين وهو البارون" دي فارين" de varoneسكرتير السفارة ،ويعمل على إقناع محمد علي باشا بان لا يتشدد في طلباته [1].

المطلب الرابع : معاهدات الصلح (معاهدة كوتاهية ومعاهدة خونكارأسكله سي)

أولا:معاهدة كوتاهية[2] TRAITE CUTAHIE سنة 1833بذلت فرنسا جهودا مضنية للتوفيق بين وجهتي النظر العثمانية والمصرية ،فهددت في إحدى مراحل المفاوضات بقطع العلاقة مع مصر ليتوصل الطرفان إلى توقيع معاهدة كوتاهية في 08 ماي 1833م ونصت على ما يلي :[3]

1 -تعيين إبراهيم باشا واليا على إقليم ادانة.

2 -تعطي لمحمد علي باشا ولاية مصر مدى حياته ويتم تعيينه واليا على ولايات الشام الأربع : عكا، طرابلس ، دمشق، حلب بالإضافة إلى جزيرة كريت .

3 -يتخلى المصريون على إقليم الأناضول وتنسحب جيوشهم إلى ما وراء جبال طوروس.

وقد صدرت التوجيهات السلطانية بمضمون هذا الصلح، وأرسل الصدر الأعظم إلى الوالي محمد علي باشا وثيقة مكتوبة بفحوى هذه المواد وفيها أسندت ولاية سوريا إليه وألحقها بولاية مصر وكريت [4].

وفي هذه الأثناء وضعت الترتيبات الإدارية على أساس توسيع إدارة بشير الشهابي فسلم له بيروت، صيدا وصور ،وأصبح هذا الأخير في منصب رفيع عرف بلسم مدير مصالح البلاد [5].

ثانيا : معاهدة خونكار أسكله سي TRAITE D'UNKIAR-SKELESSIسنة 1833م

لم يقبل السلطان العثماني إتفاق كوتاهية إلا مرغما، فكان يضمر السعي لنقضه إذا تهيأت الظروف سارع بمعية الدبلوماسية القيصرية التي استطاعت قبل أن يبرح الأسطول الروسي البوسفور أن تحمل الباب العالي

---

[1] محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 356-357.

[2] كوتاهية هي مدينة تركية مشهورة بصناعة الخزف أمضيت بها المعاهدة*أنظر:* مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، *(د, م)*,تح: أحمدغسان سبانو، (د، ط)، دارقتيبة، دمشق، ص69.

[3] محمود شاكر : التاريخ الإسلامي في العهد العثماني ،ج 8 ، المكتب الإسلامي ، (د،ط)، بيروت ، 1991م ، ص 172 .

[4] محمد عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ،ص 255.

[5] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 255.

على توقيع اتفاق سري عرف بمعاهدة خونكار أسكله سي بتاريخ 08 جويلية 1833م وهي معاهدة دفاعية هجومية نصت على [1]:

1 -التزمت كل دولة بمقتضاها أن تساعد الدولة الأخرى إذا تعرضت لخطر داخلي آو خارجي .

2 -تعهد الدولة العثمانية بان تسمح للأسطول الروسي بالمرور من البحر الأسود إلى البحر الأبيض مع قفل الدردنيل بوجه السفن الحربية للدول الأجنبية الأخرى حال نشوب حرب .

ومؤدى هذه المعاهدة تخويل روسيا مد يدها في شؤون الدولة العثمانية وبسط سيطرتها، وحمايتها الفعلية عليها ونظرنا لما فيها من مهانة للسلطان العثماني لم يبرمها إلا سعيا في نقض اتفاق كوتاهية [2]، وفي 18 سبتمبر 1833م عقدت اتفاقية مونخن غراتز كملحق لمعاهدة خونكار أسكله سي وتم عقد الاتفاقية بين النمسا، روسيا و بروسيا فتعهدا الطرفان المتعاقدان بما يلي :

1-إسناد كيان الإمبراطورية العثمانية تحت حكم الآسرة الحالية، وتكريس كافة الوسائل الفعالة التي بحوزتهم لبلوغ هذا الهدف وذلك وفقا للاتفاق التام.

2-المناهضة الجماعية المشتركة لأية خطة من شانها أن تلحق ضررا بحقوق السلطة العليا في تركيا سواء عن طريق تنظيم وصاية العرش المؤقت، أو بواسطة التغيير التام لسلالة الحاكمة[3] .

3-تطبق بصورة خاصة قرارات المادة الثانية على باشا مصر للحيلولة دون بسط نفوذه بصورة مباشرة، أو غير مباشرة على الأقاليم الأوروبية من الإمبراطورية العثمانية .

رغم ذلك استطاعت انكلترا فرنسا شل النتائج الفعلية لمعاهدة خونكار أسكله سي واتفاقية مونخن غراتز، فعرقلت تحقيق أهداف محمد علي باشا وحرمته من ثمار الانتصار في حربه الأولى [4].

[1] كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر : نبيه أمين فارس، منير البعلبكي ، ط5، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1868م ،ص 548.

[2] محمدعبد الرحمن الرافعي :المرجع السابق ، ص 256 .

[3] لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ط9 ، دار الفارابي ، بيروت ، 2007م ، ص 122 .

[4] المصدر نفسه ، ص 122-123 .

المطلب الخامس : الإصلاحات المصرية في بلاد الشام

دخلت بلاد الشام في حكم محمد علي بعد صلح كوتاهية، وأصبحت مصر المرجع الأعلى لحكومة الشام ،وعين إبر هيم باشا حاكما عاما للبلاد السورية وقائدا عاما للجيش المصري .

فشرع إبراهيم باشا في تنظيم سوريا وتدبير أمورها الإدارية، والسياسية والحربية، فعمل على توطيد مركز مصر في سوريا، فأمن حدودها الشمالية، وسعى إلى إقرار الأمن والنظام في ربوعها، وأمن الطرق، ومنع اعتداء البدو على الأهالي،كما قسم بلاد الشام إلى وحدة إدارية هي: أيالة الشام ،صيدا ،طرابلس ،يافا ،حلب وإدانة وقد تولى إدارة كل واحد منها مدير يساعده متسلم، وفي كل مدينة يزيد عدد سكانها عن 20 ألف تم إنشاء مجلس يسمى "ديوان المشورة" يتراوح عدد أعضائه بين 12و21 عضوا ينتخبون من طرف أعيان البلاد وتجارها، وذلك لنظر في مصالح كل بلدة إضافة إلى اتخاذ مجموعة من الإصلاحات نجملها فيما يلي[1]:

1- إلغاء ضريبة الخوة التي فرضتها زعامات عصبية معينة عند نقاط معينة على الطريق، وكانت هذه الضريبة مصدر ثراء لعشيرة معينة على حساب نمو اقتصاديات المنطقة.

2- ألغى الامتيازات التي كانت تعطى للتاجر الأجنبي بمقتضى المعاهدات ،والامتيازات ما أدى إلى تفوق الأجانب على التجار المحليين ,وإمكانياتهم على تصدير واستيراد البضائع بقيمة أقل من تلك التي يبيع بها المواطن ،فكانت الحكومة العثمانية تفرض الضرائب العديدة على المواطن ، إذ بلغت أكثر من 11 %بينما على الأجانب 03 % فقط ،وكان الهدف من ذلك إعطاء فرصة مساوية للمواطنين.

3- شجع التجارعلى توسيع نطاق أعمالهم بحيث لا تكون مقصورة على الجبل فقط والانفتاح على العالم الخارجي، كما ألغى العقبات المالية أمام التجارة الداخلية .

4- القضاء على نظام الالتزام نهائيا الذي كان فيه الملتزم يلزم فيه قرية أو عدة قرى، أو مديرية ليدفع مبلغا من المال إلى الوالي، ويحتفظ لنفسه بالباقي فالغي الوساطة بين الشعب والحكومة [2].

5- رفع مستوى معيشة الشعب بتوطيد دعائم المساواة السياسية والاجتماعية بين النصارى والمسلمين .

6- إجراء إصلاحات في حقل التعليم ،ففي سنة 1834 م، تم إنشاء أول دار للطباعة ببيروت، كما وضع

[1] عمر عبد العزيز عمر :المرجع السابق ، ص 348 -349.

[2] المرجع نفسه ، ص 350-351.

الأساس للتعليم المدرسي، وبنى المدارس الابتدائية التي شملت جميع أنحاء سورية ، وتقرر التعليم باللغة العربية .

أسهمت إصلاحات إبراهيم باشا في نمو القوى المنتجة ،و حسنت وضع التجار والحرفيين إلا أن هذه المحاسن سرعان ما اختلطت بمساوئ فلم يقتصر هذا الاستياء على الإقطاعيين الدين حرموا من الامتيازات السياسية، بل شمل أيضا الجماهير الفلاحية ،وذلك من خلال قيام إبراهيم باشا بتدابير عسكرية تحمل الفلاحون كافة أعبائها المتمثلة في :[1]

1- احتكار الحرير في البلاد السورية .

2- تجنيد الفلاحين السوريين والأهالي لاستكمال بناء ودعم الجيش المصري بسورية .

3- اخذ ضريبة الرؤوس من كافة الرجال على اختلاف مذاهبهم.

4- نزع السلاح من الأهالي وفرض التعبئة العسكرية [2].

وهذا ما أضنى الفلاحين وأثار حفيظتهم ،وتسبب في قيام اضطرابات وانتفاضات فلاحية كبيرة في بعض المناطق، ففي سنة 1834م قامت أول انتفاضة فلاحية كبيرة ضد التجنيد شملت سائر فلسطين، فحصر إبراهيم باشا في القدس ،وكاد أن يهلك لولا إمدادات والده محمد علي باشا التي قضت على الانتفاضة . [3]

وكان إبراهيم باشا قد أعفي دروز حوران من التجنيد لمدة خمس سنوات ثم تراءه له أن يطبقه عليهم بحجة زيادة عدد الجيش ، فتمرد الدروز [4]وأعلنوا الثورة سنة 1838م وألحقوا بالحملة المصرية خسائر كبيرة.

بعد هذه الهزيمة تصدعت هيبة الجيش المصري في سوريا و انتشرت الثورة في حوران وواد ي اليتيم ،واستمرت الثورة لتسعة أشهر تكبد فيها الجيش المصري خسائر فادحة ،وقد لعبت الدسائس العثمانية الانكليزية أثرا كبيرا في تحريك الثورات فان العثمانيون ما لبثو يستفزون الأهالي إلى الثورة، ويوزعون عليهم الأسلحة ويحرضونهم على القتال لإثارة القلاقل والاضطرابات ،ودحر محمد علي باشا عن بلاد الشام [5].

---

[1] لوتسكي : المصدر السابق ، ص 126.

[2] جورج انطونيوس : يقظة العرب ،تر : ناصر الدين الأسد و حسان عباس ،ط2 ، دار العلم للملايين ،بيروت 1987م ، ص 92.

[3] لوتسكي :المصدر السابق ، ص126 .

[4] الدروز: فرقة باطنية تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله اخذت جلى عقائدها عن الإسماعيلية وتعود هذه التسمية إلى أوائل القرن 5ه تنسب إلى محمد الاسماعيلي الدرزي .

[5] عمر عبد العزيز عمر:المرجع السابق ، ص353-354.

المبحث الثاني : حرب الشام الثانية وانعكاساتها 1839ـــ1941م

لم تكن التسوية التي ضمنتها معاهدة كوتاهية 1833م سوى هدنة مؤقتة فلم يقبل بها محمد علي إلا خوفا من إجبار الدولة العثمانية له على ترك توسعاته وتحقيق الاستقلال التام.

المطلب الأول : سير الأحداث (مجريات الحرب)

و لم يقبل بها السلطان العثماني محمود الثاني إلا لتفرق جيوشه ،وعدم قدرته صد هجمات إبراهيم باشا إلا بمساعدة روسيا الآمر الذي جعله يبرم تلك المعاهدة لتهدئة الوضع واسترجاع قوته ،وهذا ما أدى إلى اشتعال الحرب بينهما ،ومن أهم دواعي إستئناف الحرب عصيان أهل الشام لمحمد علي باشا وعصيان الدروز 1838م من خلال إمدادهم بالسلاح من الخارج سرا لإضعاف شوكته ، وفي غضون ذالك فاتح محمد علي باشا بعض وكلاء الدول بمصر بأنه يرغب بأن تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولأولاده ،فعمل سفير فرنسا على إقناع الباب العالي بأن يرسل مندوبا من طرفه لمحمد علي للاتفاق على حل يرضي الطرفين، فأرسل سارين أفندي وقابله واليها وبعد مداولات طويلة اتفقا على أن تعطى له مصر إرثا له ولأولاده وبلاد الشام إلى جبال طوروس مدى حياته وعاد سارين أفندي إلى الأستانة بهذا الوفاق، و لم يقبل الباب العالي بل أصر بأن تكون جبال طوروس ومفاوزها في أيدي الدولة العثمانية ، وصمم محمد علي باشا أن هذه المفاوز بمثابة أبواب لبلاد الشام، فلو احتلتها الدولة العثمانية أمكنها الإغارة على بر الشام في أي وقت[1].

أولا: موقعة ناصبين [2]: عاد الخلاف وأشتد بين محمد علي باشا والسلطان العثماني محمود الثاني فأوعز هذا الأخير إلى "حافظ باشا" الذي عين قائدا لجيوش المجتمعة بأرمينية ،والذي يتألف من 38 ألف مقاتل ،ويحتل مواقع حصينة، وبه فريق من الضباط الألمان وعلى رأسهم القائد البارون دي مولنك .

أما الجيش المصري فقد بلغ تعداده 40 ألف مقاتل ،وعلى الرغم من أن الجيشان متكافئان إلا أن الجيش المصري كان متفوقا في النظام وبراعة القيادة ،وخبرته القتالية كما انه مؤلف من المصريين ،بينما الجيش العثماني يتكون من سائر عناصر السلطنة العثمانية كالأتراك و الأكراد [3].

---

[1] محمد فريد بيك : المصدر السابق ، ص 452.

[2] هي قرية تقع بالقرب من الحدود السورية في قرية شمال حلب على الطريق المواصل بين بيرة جك على نهر الفرات والإسكندرية على البحر الأبيض المتوسط .انظر محمد عبد الرحمن الرافعي،المرجع السابق، ص453.

[3] المرجع نفسه, ص274-275 .

حشد إبراهيم باشا الجيش على ضفاف نهر الساجور، وتحرك يوم 20 جوان 1839م صوب قرية مزار ليتخذها قاعدة للهجوم ،ودخلها دون أدنى مقاومة .

وفي 24 جوان 1839م هاجم حافظ باشا المصريين في جنح الليل أملا أن يأخذ الجيش المصري على حين غرة ليوقع الفشل في صفوفهم ،ولكنه ارتد بعد أن فتكت نيران المدافع المصرية بعدد كبير من جنده ، وفي صبيحة اليوم الموالي بدأت المعركة وفقا للخطة التي رسمها إبراهيم باشا مما دل على براعته في وضع الخطط الحربية، إذ رأى أكمة عالية اتجاه ميسرة الجيش العثماني وقد أهملوا احتلالها [1].

فأمر سليمان باشا الفرنساوي الذي كان على ميمنة الجيش باحتلالها ونصب عليها المدافع فانكشفت أمام نيرانها مواقع الجيش العثماني، وكانت هذه الحركة هي مفتاح النصر في ظل تقهقر الجيش العثماني أمام هجمات المصريين, فشدد إبراهيم باشا الهجوم على الميسرة ،ولم يقوى الجيش العثماني على صد الهجوم ، ففروا تاركين ذخيرتهم ،فاحتل الجيش المصري مواقعهم ،وغنم كل الذخائر والمدافع التي كانت بحوزتهم ،وهزم الجيش العثماني أمام النصر المؤزر للمصريين(*) [2] .

ثانيا: نتائج المعركة

1- خسر الجيش العثماني نحو 04 ألف قتيل وجريح وأسر ما بين 12 ألف إلى 15 ألف جندي .

2- استولى المصريين على نحو 20 ألف بندقية و44 مدفع واستولى في اليوم الثاني على 30 مدفع في حصن بيرة جيك واستولى على خزانة الجيش العثماني بمبلغ قيمته 06 ملايين فرنك .

3- بلغت خسائر الجيش المصري نحو 04 ألف قتيل وجريح وانتهت بتدمير القوة الحربية العثمانية .

وتعتبر معركة ناصبين من أعظم الوقائع التي خاضها الجيش المصري نظرا لأهميتها الحربية ونتائجها السياسية ،فمن الوجهة الحربية فاقت المعارك في عظم الجهود وكثرة الخسائر التي وقعت فيها.

أما من الوجهة السياسية، فقد حفظت استقلال مصر وكانت بمثابة السياج الذي صانه من الخطر العثماني وكان وقعها أليما على الجيش العثماني لأنها خاتمة الهزائم المتعاقبة مع الجيش المصري [3].

---

[1] محمدعبد الرحمن المرجع السابق الرافعي ، ص276-277.

[2]: المرجع نفسه ، ص280. (*) أنظر الملحق رقم 04.

[3] المرجع نفسه، ص281.

و لم يصل وقع هذه الحادثة إلى أسماع السلطان العثماني محمود الثاني نظرا لوفاته بعد مرور 06 أيام من المعركة بتاريخ 30 جوان 1939م ليخلفه ويعتلي العرش بعده ابنه عبد المجيد[1] .

كانت الحكومة العثمانية آنذاك في غاية الاضطراب والتدهور، إذ أقام "احمد باشا" القبودان العام للجيوش التركية بإخراج جميع المراكب الحربية، وأتى بها إلى ثغر الاسكندرية ،وسلمها لمحمد علي في 14 جويلية 1839م انتقاما من منح منصب الصدارة العظمى "لخسرو باشا".

وفي أوائل سنة 1840 م طلبت النمسا من الدولة العثمانية عقد مؤتمر في مدينة فينا لتسوية هذه المسالة ،فقبل الباب العالي وعقد المؤتمر في مدينة لوندرة بفينا وطلبت أن يكون لهذا الأخير مندوب خاص[2]، وتداولوا في أمر ما يمكن منحه لمحمد علي باشا ، ونظرا لتشتت الآراء وبعد الوفاق لم ينجح هذا المؤتمرات بعد مجيء المسيو تيرس[3] لرئاسة الوزارة الفرنسية في بداية مارس 1840م ،فعمد إلى إنهاء المسألة المصرية باتفاقه مع الطرفين بأن يلتزم الباب العالي بمنح ولاية مصر والشام لمحمد علي باشا ولذريته، ويهدد بمساعدة والي مصر أن لم يزعم الباب العالي بهذه المطالب[4].

المطلب الثاني : معاهدة لندن 15 جويلية 1840م

وبناءا على ذلك عقد مؤتمر في لندن نتج عنه توقيع معاهدة لندن بتاريخ 15 جويلية 1840م بين "اللورد بالمر ستون "عن انكلترا،"البارون بيلوف "عن روسيا و"البارون نومان" ممثل بروسيا، وفي ظل غياب فرنسا وقعت المعاهدة وصادقت عليها الدولة العثمانية بهدف الضغط على محمد علي باشا وذلك بحضور" شكيب أفندي "وزير تركيا المفوض ونصت على مايلي[5] :

1 يكون لمحمد علي باشا وحلفائه حكم مصر الوراثي ويكون له مدة حياته.

---

[1] ولد عبد المجيد في 6 ماي 1822م كان عمره 17 سنة عند توله السلطنة .انظر محمد فريد بيك المحامي،المصدر السابق، ص455.

[2] إبراهيم حليم بيك : التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية ،ط 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ،1988 ، ص 213 .

[3] سياسي شهير ولد في مرسيليا في 16 افريل 1797م، اشتغل المحاماة سنة 1861 كتب تاريخ الثورة الفرنسية في 10مجلدات اشتغل بالتحرير في الجريدة عين مأمور للتربية، ثم وزارة المالية، ثم ناظر الخارجية ثم عين رئيس المجلس الناظر بنظارة الداخلية .انظر محمد فريد بيك،المصدر السابق، 462.

[4] المصدر نفسه ، ص 462.

[5] عبد المنعم الهاشمي: المرجع السابق ، ص 263 .

2 -حكم المنطقة الجنوبية من بلاد الشام المعروفة بولاية عكا بشرط أن يقبل ذلك في مدة لا تتجاوز 10 أيام من تاريخ تبليغه هذا القرار،وأن يشفع قبوله بإخلاء جزيرة كريت وبلاد العرب وإقليم أطنة وأن يعيد للدولة العثمانية أسطولها .

3 -إذا لم يقبل هذا القرار في مدة 10 أيام تترك له ولاية مصر وحدها ويمهل 10 أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي فيها فإذا لم يقبل خلال هذه المدة حرم من ولأية مصر أيضا .

4 -يدفع محمد علي باشا جزية سنوية إلى الباب العالي تحدد نسبتها وفقا للبلاد التي يعهد إليه بإدارتها .

5 -ـ تسري في كل من مصر وولاية عكا القوانين العثمانية ويتولى محمد علي باشا وخلفائه جباية الضرائب بإسم السلطان [1].

6 -تشكل القوات المصرية البرية والبحرية جزاء من قوات السلطنة العثمانية

7 -يتكفل الحلفاء في حال رفض محمد علي باشا لتلك الشروط باللجوء إلى وسائل القوة لتنفيذها وان يتحدوا بناء على طلب السلطات كل الوسائل لحمايتها وجعل المضايق بمأمن من كل إعتداء .

8 -يحق لإنكلترا الاتفاق مع النمسا مساعدة سكان بلاد الشام على خلع طاعة محمد علي باشا .

9 - يحق للسفن الانجليزية والروسية والنمساوية الدخول إلى مضيق البوسفور لحماية استانبول في حالة تقدمت الجيوش المصرية نحوها .

ثانيا: مدى نجاح تطبيق المعاهدة

لقد أحاطة بالاتفاقية صعوبتان هما:

01-أنها وقعت بغياب فرنسا.

02-ان اللجوء إلى القوة سيكون ضروريا لفرض أحكامها على محمد علي باشا.

03-اعتبار الدوائر السياسية استبعاد فرنسا إهانة لها و أعلن رئيس وزرائها"تير" أن العلاقات الجيدة مع انجلترا قد إنهارت وراح يتعجل الاستعدادات العسكرية ويحرض محمد علي باشا على رفض الاتفاقية[2].

[1] محمد فريد بيك :المصدرالسابق ، ص 263 .

[2] المصدر نفسه، ص 264.

04- رفض محمد علي باشا إنذار الحلفاء وصمم على التمسك بالبلاد التي فتحها وأقرتها معاهدة كوتاهية 1833م، واخذ يراهن على مساعدة فرنسا فترك الأيام العشرة تمر من دون إن يصدر أي رد رسمي [1].

فأبلغته قناصل الدول الأوروبية في اليوم الحادي عشر الإنذارالثاني وأمهلو ه عشرة أيام أخرى كما ابلغوه بأنه لم يعد له الحق في ولاية عكا.[2]

ومرت الأيام العشرة الثانية من دون أن يقبل صراحة تنفيذ بنود الاتفاقية فعد قناصل الدول الأوروبية أن ذلك يعني الرفض فأصدر السلطان العثماني فرمانا بخلعه من ولاية مصر ، وردا على ذلك بدأت الدولة العثمانية بمساعدة من انجلترا و النمسا بعمليات حربية ضد محمد على باشا ،فوصل إلى سواحل سوريا أسطول إنجليزي نمساوي بتاريخ 11سبتمبر 1840، وأنزل الأسطول الانجليزي بقيادة "شارل نابيير" قوات مسلحة [3]في شمال بيروت قوامها 1500جندي انجليزي و 7000الى 8000 جندي تركي وسارعوا بتسليح الجبليين، وإمدادهم بالأموال وقامت إنتفاضة ضد المصريين في لبنان ،وفي أثناء ذلك أصبح وضع جيش إبراهيم باشا أكثر صعوبة ,إذ كانت قواته مبعثرة في جميع أنحاء سوريا، فحاصر الحلفاء الموانئ، وقصفوا الساحل السوري ،واحتل الثوار بمعونة الأسطول الانجليزي عددا من المدن الساحلية أبرزها :جبيل ،البترون ،صو ر، صيدا و حيفا، وفي 10 اكتوبر 1840م إنهزمت قوات إبراهيم باشا في موقعه بالقرب من بيروت فاضطر المصريون إلى إخلاء المناطق الجبلية من لبنان ،والجلاء عن الساحل وأصبحت بيروت ،اللاذقية والإسكندرية في أيدي المتدخلين ،فاستسلم الأمير بشير الثاني إلى الانجليز الذين نفوه إلى مالطا ,وعين بشير الثالث أميرا جديد للبنان ، وفي 03نوفمبر 1840م سقطت عكا الحصن الرئيسي للمصريين بعد قصفها بحرا وقامت إنتفاضات ضد المصريين في فلسطين ،نابلس و الخليل[4].

المطلب الثالث: نهاية محمد علي وانسحابه من بلاد الشام

وقعت مصر تحت فوهات المدافع الانجليزية على الإتفاقية المقترحة من طرف نابيير،و اضطر محمد علي باشا للجلاء التام عن سوريا وفلسطين ،فأصدر مرسوما بالجلاء الفوري في 29ديسمبر 1840 على إثره غادر إبراهيم

[1] سهيل طقوش :المرجع السابق ، ص 376.
[2] محمد فريد بيك :المصدرالسابق ، ص465.
[3] محمدعبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق ، ص 342 .
[4] لوتسكي :المصدر السابق ، ص 133-134.

باشا على رأس جيشه دمشق وزحف نحو الجنوب ، وتمت تسوية القضية المصرية في بداية جوان 1841م بإصدار فرمان "خط شريف "آي مرسوم سلطاني خاص، والذي نص على ما يلي [1]:

1-تنازل محمد علي عن الأيالات السبع التي أخرج منها أساسا.

2-يرسل الأسطول إلى استانبول وتعطى له ولاية مصر والسودان وراثة .

3-تعطى فقط نص جزيرة سيناء إلى محمد علي و يكون اكبر الأبناء ذكورا من صلب محمد على والي على مصر وتنتقل الايالة إلى الدولة العثمانية .

4-يحمل والي مصر لقب والي كولات الدولة العثمانية الآخرين .

5-يرسل إلى استانبول ضريبة سنوية قدرها أربع ملايين ويجوز للباب العالي أن يزيد مقدارها في حالة إزدياد رفاهية البلاد. [2]

6-يكون والي مصر الباشا 18000جندي يساق هؤلاء في حالة الحرب إلى الجبهة التي يأمر بها الباب العالي، و في حالة السلم يرسل 400جندي مصري إلى استانبول ،ويرتدي الجيش المصري الزي العسكري العثماني و يرفرف في مصر العلم العثماني.

7-تصك النقود باسم البادشاه، ولا تستدين الايالة من دول خارجية.

8-طبق في مصر جميع أسس التنظيمات والقوانين التي أعلنها وسيعلنها الباب العالي .

9-علامات التقدير والأوسمة تمنح من قبل البادشاه ،ولا يمنح لأحد رتبة تعلو على رتبة الباي أو ما يعادلها

10-لا يمكن جمع الضرائب التي تجمع أمثالها من الأقطار العثمانية [3]

دام عصيان محمد علي باشا 9سنوات و7اشهر و5ايام،ثم امتثل بعد ذلك لهذا الفرمان بشكل تام، ومن أهم الأسباب التي اعترضت سبيله في إقامة إمبراطورية مصرية،وأدت إلى إخفاقه ببلاد الشام:

أ-معارضة بالمر ستون البريطاني .

ب-فقدان الوعي القومي بين العرب[4] .

---

[1] جميل بيضون :المرجع السابق ، ص 97.

[2] يلمازا اوزتونا : المصدر السابق ، ص38

[3] المصدر نفسه ، ص38- 39.

[4] جورج أنطونيوس:المرجع السابق، ص93.

إلا أن ابنه إبراهيم باشا خلف بفضل سياسته الإصلاحية أثارا هامة ببلاد الشام يمكن إيجازها في ما يلي:

01-تحقيق الجزء الكبير من حلم أبيه محمد علي باشا بضم بلاد الشام إلى ممتلكاته، إذ غدت تشكل مع مصر والسودان والجزيرة العربية إلى دولة متحدة كان يسعى إلى إقامتها منذ زمن بعيد، و لم يبق أمامه سوى ضم العراق ليكتمل ذلك الحلم، فقد كتب بالمر ستون وزير خارجية بريطانيا محمد علي سنة 1833م قائلا : "أن هدفه الحقيقي هو تكوين مملكة عربية تضم كل الأقطار التي تتكلم بلغة الضاد ".

02-ترك العديد من الإصلاحات التربوية و الثقافية و الإدارية على جميع أرجاء الشام على النسق الذي أجراه والده بمصر، وخاصة في مجال إنشاء المدارس ،وإرسال البعثات العلمية إلى بلاد الغرب الأوروبي.

03-قام بعدد من الإصلاحات الاقتصادية لبلاد الشام على غرار إصلاحات والده بمصر ،وقد كانت تصفية الإقطاع بل تحديد الرسوم الجمركية، وتشجيع التجارة الخارجية والداخلية وزيادة الإنتاج .

04-أثبت للعالم ضعف الدولة العثمانية وعدم إمكانياتها للدفاع عن ممتلكاتها.[1]

05-أيقظ الشعور القومي العربي إذ ذهب بعض المؤرخين أن فترة حكمه تعتبر مرحلة البذر لذلك الشعور الذي نما وتزايد في فترة لاحقة.

06-اوجد تحالف و تعاون كبير مع بعض الزعامات المحلية ببلاد الشام و خاصة مع الأمير بشير الشهابي الثاني.

07-ترك إبراهيم باشا آثارا مهمة في إعادة تنظيم الشام من الناحية الإدارية، قسم سوريا و فلسطين وكليكيا إلى 6 مديريات على رأس كل واحد منها مدير، أو شكل في تلك المديريات مجالس إستشارية من الملاك والفلاحين والتجار وعلماء الدين، و حصر السلطة القضائية في يده، و بخاصة القضايا السياسية والجنائية بعد أن تنظر فيها المحاكم بصورة تمهيدية[2].

[1] محمدعرابي نخلة::المرجع السابق، ص190.

[2].المرجع نفسه، ص191.

المطلب الرابع:تنظيم بلاد الشام

أولا:القضية اللبنانية

كان التسامح العثماني مع الطوائف ،و الأقليات المدخل التدخل الأجنبي لتغذية الخلافات وإشعال نار الفتنة [1]وذلك جراء تدهور الأوضاع في السلطنة العثمانية وبذلك ازدياد تأثير الدول الأوروبية ، وتدخلاتها المباشرة في أوضاع الأقليات المسيحية بهدف إحراز المزيد من النفوذ والمكاسب في تركة الرجل المريض.[2]

ونتيجة للدعم الأوروبي نشطت الحركات الإنفصالية ففي أواخر القرن 18 م ، فاتخذت روسيا من دعوى حماية حقوق الكنيسة الأرثوذوكسية ذريعة لتحقيق أطماعها في المنطقة، وارتكزت سياسة الدول الأوروبية على استغلال الطوائف لتنفيذ مخططاتها في المنطقة .[3]

تكرست حماية الدول للأقليات عن طريق افتتاحها المدارس والمعاهد لنشر أفكارها بين الطوائف ،فجني المجتمع أولى ثمار تلك الحماية من خلال بروز ظاهرة المذابح الدينية بين المسلمين والنصارى الخاضعين للحكم العثماني التي انتشرت في جبل لبنان بفعل التربة الخصبة التي زرع فيها الأروبيون بذور الشقاق بهدف التدخل في شؤون الدولة وتفتيت وحدتها[4] .

فكانت الأزمة اللبنانية إحدى أثار النزاع العثماني المصري، حيث شهد جبل لبنان توترات بمختلف سكانه أثناء الحكم المصري ،فضم لبنان المسلمين المرتكزون ببيروت و الدروز بإمارة الشوف ، والشيعة في جبل عامل، وتوزع الموارنة بين بيروت وبعض المدن الساحلية وقرى الجبل فانتموا إلى حزبين سياسيين هما حزب جنبلاط وحزب يزبك .

وحدث التنافر بين الدروز والموارنة بفعل عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية أدى إلى ضعف الدروز وبروز الموارنة ,ومما زاد الوضع حدة قيام الإقطاعيين الدروز بمحاولة استعادة [5] نفوذهم القديم، وذلك في ظل

---

[1] فقد وصل ابرز عملاء الدول الأوروبية ريتشارد وود إلى بيروت من اسطنبول كان يعمل لدى السفارة البريطانية ليلقى بذور الشقاق في قلوب الأهالي ويوغر صدرهم على الحكومة الحالية فجعل مركزه كسروان.

[2] موفق بني المرجة : صحوة الرجل المريض ، (د،ط) ، مؤسسة صقر الخليجية ، الكويت ، ص179.

[3] روبير مانتران : "تاريخ الدولة العثمانية" ، قو: محسن شومان ، مجلة الاجتهاد، العدد 21-42 ،السنة 11 ، دار الاجتهاد للابحاث بيروت،1999 ص340.

[4] موفق بني المرجة: المرجع السابق ، ص 181.

[5] سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص369.

تحول بعض أمراء الشهابية عن الإسلام إلى المسيحية، وتجددت العداوة الدينية القديمة بين الدروز والموارنة [1]على اثر مغادرة القوا ت المصرية بلاد الشام و جبل لبنان، وتدخل الدول الأوروبية في تأجيجها عن طريق إرسالياتها التبشيرية للبحث عن نقاط الضعف لتعميم النعرا ت العنصرية والمذهبية و الطائفية، فكانت فرنسا وروسيا معين للموارنة وساندت انجلترا الدروز[2].

وكان مفجر الأوضاع سنة 1841تدخل الأوروبيين في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية واللبنانيين، فاشتعلت الحرب الطائفية لان العداء الديني بين الطوائف كان اثر للسياسة الأوروبية ونتيجة لها في نفس الوقت ، وحاول الباب العالي إقامة حكم مباشر بالجبل لكنه أخفق في ذلك نتيجة ضغط الموارنة وتهديدهم بالثورة، وكان بإصدارالسلطان فرمان بتعيين قاسم "ملحم الشهابي" والمعروف بالأمير بشير الثالث على جبل لبنان في 03 سبتمبر 1841م فتيحة للدسائس الأوروبية، حيث اشتدت الإصطدامات بين الدروز والموارنة، فد خل الدروز دير القمر عاصمة الإمارة في 13سبتمبر1841م ،وارتكبوا المذابح في البلدة،فردت الدولة العثمانية بعزل الأمير بشير وتعيين عمر باشا وقد باءت سياسة هذا الأخير بالفشل ،مما دفع السلطان العثماني إلى إصدار أمر في 01ديسمبر 1842 م يقضي بجعل جبل لبنان تحت حكم إثنين من أمرائه واحدا ماروني وأخر درزي[3].

وأمام تضارب وجهات النظر اقترح مترنيخ تقسيم لبنان إلى منطقتين إداريتين شمالية يتولى إدارتها قائد مقام ماروني ، وجنوبية يتولى إدارتها قائد مقام درزي على أن تكون الكلمة الفاصلة في القضايا الهامة لوالي صيدا والذي قبله الباب العالي ، غير أن تطبيقه كان صعبا بفعل وجود مناطق مختلطة وتداخل سكاني و تأليب الأوروبيين للطوائف، مما أدى إلى تجدد الاضطرابات سنة 1845م ،فأرسل الباب العالي إلى لبنان وزير خارجيتها شكيب أفندي لفرض نظام القائم مقامتين ،فأعلن هذا الأخير عن الدستور الجديد لجبل لبنان سنة 1846،وأبقى الأمير حيدر على رأس قائم مقامتين الموازنة ،وعين الأمير أمير أرسلان على رأس القائمقامية الدرزية وضيق صلاحيته،وعين لكل القائمقامية مجلسا تمثيليا مختلطا برئاسة القائم مقامية مهمته إدارة القائم مقامية ،أما بخصوص القرى المختلطة فإن سياسته تقوم على الأسس الآتية[4] :

[1] من ابرز العوامل التي غدت الصراع الطائفي وقوف الدروز إلى جانب الامير بشير في القضاء على الثورة ضد الوجود المصري في الجبل بتفويض من فرنسا.

[2] سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص370.

[3] موفق بني المرجة : المرجع السابق ، ص 181.

[4] المرجع نفسه ، ص372.

1-المسائل القانونية وأطلق عليها الحقوقية تقوم على حل التراعات بين الطرفين.

2-المسائل الإدارية أو السياسية تختص بكيفية تنفيذ أوامر الحكومة .

3-مسائل الشرطة أو الضبطية ينفرد بها القائم مقام [1].

سار نظام القائم مقاميتين بعد ترتيبات شكيب أفندي سيرا حسنا بضع سنوات, فدعم سلطة الباب العالي، واضعف سلطة الإقطاعيين، لكن نظرا للظروف الداخلية والخارجية التي صرفت الدولة العثمانية على الإهتمام بشؤون ولاياتها عادت المذابح مرة أخرى.

ثانيا: تجدد الاضطرابات بحوادث 1860م

ساعد نظام القائم مقاميتين على الاحتكاك المتواصل بين الدروز والموارنة ،فبالرغم من حرص الدولة العثمانية على تجنب، وعدم إثارة المتاعب والقلاقل من خلال سن مجموعة من الإصلاحات التي كانت محاولة يائسة لحل مشكل الأقليات، ومنع التدخل الأجنبي وذلك في ظل التقهقر السياسي للطائفة الدرزية، والتغلغل الاقتصادي الفرنسي الناشط في الأوساط المارونية وتمثلت هذه الإجراءات في[2]:

1-خط شريف كلخانة سنة 1839م .

2-نظام شكيب أفندي سنة 1845م.

3-الخط الهمايوني 1856سنة.

في هذا الجو المشحون بالتناقضات نشبت الفتنة ،وانفجر الوضع الداخلي في 27ماي1806م بين الدروز والموارنة تحول إلى مذابح بين الطائفتين ،ومذابح عامة بين المسلمين والمسيحيين ، وامتدت الفوضى إلى اللاذقية ودمشق ومن أهم المجازر :[3]

1-مجزرة دير القمر وجزين من 01 إلى 21جوان 1860م.

[1] موفق بني المرجة : المرجع السابق ص373.
[2] سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص374.
[3] المرجع نفسه ، ص376.

2- مجزرة حاصبيا يوم الجمعة 24 ماي إلى 1 0 جوان 1860م .

3-مجزرة راشيا الوادي من 03 جوان الى 12جوان 1860م.

4-مذبحة 09 جويلية 1860م.[1]

ومما ساعد على تفاقم هذا الوضع تباطئ السلطة العثمانية في قمع الفتن في مهدها مع تدفق السلاح على لبنان من بعض الحكومات الأوروبية [2].

وقد لعب الأمير "عبد القادر الجزائري" [3]دورا بارزا في القضية اللبنانية خلال اجتماعه بأحمد باشا، و أعضاء مجلس الشورى سائلا أياهم مساعدته على إطفاء شرار الثوار، وساعده على تثبيت دعواه مفتي الولاية "طاهر أفندي" ليستقر رأيهم على معاقبة الثائرين، ومقاتلتهم إذا أصروا على مواصلة الثورة ، و لم يمضي على رجوع الأمير بضع دقائق من لقائه بأحمد باشا حتى بعث له برسول وعرض عليه العدول عن ضرب الثائرين، و إرجاعهم للطاعة عند ذلك حول الأمير عبد القادر اهتمامه بمساعدة الأطفال و الرجال و إيوائهم .[4]

واقر فؤاد باشا وزير خارجية الدولة العثمانية ضرورة تعزيز الجيش العثماني في بلاد الشام لإخماد نار الفتن ، فسار إلى بيروت بتاريخ 14جويلية 1860م على رأس قوة عسكرية، ومنها إلى دمشق فشكل مجلسا حربيا حاكم فيه زعماء الفتنة وشنق الكثير منهم كما اعدم والي دمشق احمد أغا[5] .

أما لبنان فأوكل أمرها للجنة الدولية لتحقيق في حيثيات الأحداث والمتسببين فيها، [6]وبعد مناقشات ومداولات طويلة تقرر الموافقة على وضع نظام جديد لجبل لبنان، والذي عرف بالنظام الأساسي الصادر بتاريخ 09جون1861م فنص على ان :

---

[1] ميخائيل مشاقة :حوادث سوريا ولبنان ،مصر، 1908 ، ص 175-176.

[2] سهيل طقوش : المرجع السابق، ص376.

[3] الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ولد في ماي1808وتوفي 24ماي 1883 في عائلة محافظة نشأ وترعرع تلقى علومه الأولى على يد والده محي الدين تطلع لبناء دولة عصرية تقوم على جيش منظم وادارة محلية وعادلة ونظام ضرائبي دقيق قاد المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي 1839-1847م توفي بسوريا .

[4] ميخائيل مشاقة: المصدر السابق ، ص175- 176.

[5] سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص377-378

[6] شكيب ارسلان : تاريخ الدولة العثمانية ، تح :حسن السما حي سويدان ،ط1 ، دار ابن كثير ،دمشق ،2001،ص 292

1-يصبح الجبل سنجق[1] عثماني يتمتع باستقلال داخلي تضمنه الدول الأوروبية الخمس الموقعة على هذا النظام بالإضافة إلى الدولة العثمانية

2-يقوم بإدارته متصرف مسيحي كاثوليكي غير لبناني من رعايا الدولة العثمانية يعينه الباب العالي وتوافق على تعيينه الدول الأوروبية الخمس.

3-يعاونه في الحكم مجلس إداري مكون من 12عضو يمثلون مختلف الطوائف .

أما أراضي المتصرفية فاقتصرت على جبل لبنان من دون بيروت والبقاع ،ومنطقتي طرابلس وصيدا، وعين بالإجماع داوود الارامييني أول متصرف لمدة ثلاثة أعوام ،وألحق بالنظام الأساسي بروتوكول تضمن خمس نقاط تتعلق بكيفية تعيين المتصرف ومداولاته واستمر العمل به لغاية سنة 1914م[2].

[1] لفظة تركية لها عدة معاني منها : لواء اوفرقة من تشكيلات الجيش أوقسم اداري كبير في ولاية يحكمه احد البكوات ، انظر : عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار في التراجم والاخبار ،ج1، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ص 8 .

[2] سهيل طقوش :المرجع السابق ، ص378.

خلاصة:

كان الصراع العثماني المصري على بلاد الشام ضرورة حتمية مرت بمرحلتين، فكان من نتائج الحرب الشامية الأولى إنقسام العالم إلى قسمين و دخول بلاد الشام ضمن ممتلكات محمد علي باشا، حيث حاول هذا الأخير توطيد أواصر حكمه في المنطقة من خلال جملة من الإصلاحات الشاملة لمختلف الميادين .

لكن سرعان ما اختلطت بمساوئ أدت إلى ازدياد نقمة الشعب وظهور الإضطرابات ، و الحروب الدينية الطائفية ، وذلك في ظل اشتداد ساعد التدخلات الأجنبية في المنطقة على إثر هذه الأحداث اضطر محمد علي باشا للخروج مجبرا من بلاد الشام .

الفصل الثالث

دور اليقظة في بعث الحركة القومية

وردود الفعل العربية على سياسة التتريك

المبحث الأول: اليقظة العربية ودورها في نمو الفكر القومي ببلاد الشام

المبحث الثاني: ماهية الحركة القومية العربية

المبحث الثالث : سياسة التتريك وردود الفعل العربية

الفصل الثالث: دور اليقظة في بعث الحركة القومية وردود الفعل العربية على سياسة التتريك.

دخلت مفاهيم الإصلاح والتغيير على الصعيد القومي والسياسي إلى بلاد الشام مع الحكم المصري ,فبعد خروج إبراهيم باشا ظل أثر هذه المفاهيم يفعل فعله خاصة بين صفوف المتعلمين والفئات المناضلة والمقاومة ،وبلغ هذا التفاعل ذروته حينما قدم لبلاد الشام بعض الولاة المتنورين الذين قادوا حركة التمدن والإصلاح وأدت المدارس التي تم افتتاحها في هذه الفترة دورا كبيرا في توعية النشء قوميا وسياسيا.

فظهر منهم ممن تأثر بثقافة التغريب الذين أخذوا ينادونا بالانفصال عن الدولة العثمانية ، في حين رأي البعض خلاف ذلك طالبوا بإصلاح النظام والقضاء على المفاسد والاستبداد ،وتطبيق مبدأ المساواة بين مختلف أعراق السلطنة حفاظا على تماسكها، وردا للتأمر الغربي الأوربي على المنطقة ،لكن نظرا لتعسف بعض القادة العثمانيين ووصول الاتحاديين للحكم حال دون ما كان يدعوا إليه المتمسكون بوحدة الإمبراطورية ،وبفضل عددت عوامل و أسباب نشط التيار الأول الداعي للانفصال عن الدولة عثمانية على يد ثلة من الفئة المثقفة المتطلعة للحرية التي أخذت توازن بين الحكم التركي واستمرار طغيانه وبين الاستقلال.

و من هذا المنطلق تطرح جملة من التساؤلات ، إلى أي مدى أسهمت اليقظة العربية في نمو الفكر القومي ببلاد الشام ؟ ومن قادها ؟ وكيف كان رد الفعل العربي عن سياسة التتريك العثمانية؟.

المبحث الأول:اليقظة العربية ودورها في نمو الفكر القومي ببلاد الشام

كان ولاء العرب للدولة العثمانية منطلقا من الاستجابة للعاطفة الدينية ،هذا الولاء سرعان ما تحول لكراهية نتيجة لمساوئ الحكم العثماني الذي اعتمد نظام السيطرة الهادفة إلى الاستفادة القصوى لمصلحة العنصر التركي ،فما إن أطل القرن 19م حتى تبلورت فكرة اليقظة العربية ، ونمى الوعي القومي إثر سياسة التتريك المنتهجة[1] .

المطلب الأول:مفهوم اليقظة العربية وعواملها

أولا:مفهوم اليقظة العربية:

اصطلاحا أطلق في النصف الثاني من القرن 19م وبداية القرن 20م على حالة الانبعاث الفكري التي راحت تظهر في بعض أرجاء البلاد العربية بصفة عامة ،وبلاد الشام بصفة خاصة إثر توسع قوات محمد علي باشا فيها (1831-1840) ، وما صاحب ذلك من اهتمام ابنه إبراهيم باشا بفتح المدارس ونشر التعليم على أساس حديثة واستمرت حالة الانبعاث هذه حتى الحرب العالمية الأولى سنة1914م[2].

ويقصد باليقظة العربية تنبه العرب إلى ماضيهم المجيد ،وإدراكهم لوا قعهم المتخلف ، وتطلعهم إلى إحياء الماضي وتجاوز تخلف الحاضر من أجل بناء مستقبل أفضل ، فلقد أحس العرب بضعف الدولة وفساد إدارتها وعجزها عن الدفاع عن البلاد العربية الأمر الذي دعا العرب إلى التفكير في واقعهم السيئ وضرورة الاعتماد على أنفسهم بإحياء تراثهم وهويتهم وشخصيتهم، وكان من أهم أهدافها:

1- بعث مجد الأمة العربية والاهتمام بآدابها ولغتها.

2- السعي لتحقيق أمال العرب في إقامة كيان سياسي خاصا بهم في إطار ال دول ة العثمانية أسوة بالشعوب الأخرى التي كانت تضمها الدولة العثمانية وهبت تطالب باستقلالها [3].

---

[1] جميل بيضون وأخرون: المرجع السابق، ص143.

[2] محمد عرابي نخلة:المرجع السابق، ص275.

[3] محمد عبد الله عودة: المرجع السابق ، ص122.

ثانيا:عوامل اليقظة العربية:

لقد تضافرت عوامل عديدة في سبيل تحقيق أهداف اليقظة العربية إذ تجلى بعضها في ميادين الفكر والثقافة ,،كان ذلك حصاد المرحلة السابقة من الإعداد ،والعمل الدءوب الذي اضطلعت به المدارس الحديثة التي افتتحت ببلاد الشام نتيجة للسياسة التعليمية التي انتهجها إبراهيم باشا في فترة محكمة لتلك البلاد، وانقسمت هذه العوامل إلى عوامل خارجية وأخرى داخلية[1]:

أ- العوامل الخارجية:

1-الحملة الفرنسية على مصر(1801م-1798):

التي استهدفت مصر وبلاد الشام فأحدثت يقظة سياسية في تلك البلاد بصفة خاصة ،بل وفي المشرق العربي بوجه عام ،حيث أدرك السكان الفرق الشاسع بين ما هم عليه من أحوال اقتصادية واجتماعية وتعليمية مختلفة، وما وصل إليه الغرب من تقدم مما دفعهم للإ ستفادة من علوم الغرب وخبراته وإنجازاته .

رافقه ظهور عدة معطيات ومفاهيم اجتماعية وفلسفية ،وسياسية وفكرية تمثلت في محاولة نابليون نقل أفكار الثورة الفرنسية إلى بلاد المشرق خاصة ما تعلق منهما بالحرية والإخاء والمساواة، وقد كان لتلك الأفكار الأثر البالغ في انتها ج إبراهيم باشا سياسة تعليمية إصلاحية تقدمية طبقها أثناء حكمه لبلاد الشام، واعتبر بذلك من أبرز العوامل التي ساعدت إيقاظ العرب وحثهم للإقبال على العلم والتعلم[2].

2-الإرساليات التبشيرية:les missionnaires

لعبت الإرساليات التبشيرية دور فعالا ومؤثرا في بعث اليقظةالعربية من خلال نشاط المبشرين الذين يمثلون مختلف المذاهب المسيحية الكا ثوليكية ،و الأرثوذوكسية والبروتستانتية ، ونشطت هذه الإرساليات في ميدان تحديث اللغة العربية ،والترجمة وبناء المدارس، وفتح المجال أمامها في عهد إبراهيم باشا، وكان لهذه الإرساليات أثر إيجابيا تمثل في انتعاش اللغة العربية وبذلك قامت حركة فكرية

[1] محمد عرابي نخلة :المرجع السابق، ص275-276.

[2] الغالي غربي:المرجع السابق، ص216.

انتقلت خلال زمن قصير من الأدب إلى السياسة ،فقد حدث حدثان جعلا لهذه الإرساليات قيم ة تمثلا في:

1- تعريب الكنائس الأرثوذكسية.

2- كانت مبادئ المذاهب البروتستانتي أن يتلى الإنجيل باللغة العربية التي يفهمها الناس ، فدأب مبشورا هذا المذهب على بعث الدعوة من خلال ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية ،وهذا م ا أعطى دفعا قويا للاهتمام باللغة العربية وأدبها ، فكانت أولى المدارس التعليمية التي أسستها هذه الّإرساليات مدرسة ع ين ورقة في القرن 18م في منطقة دي مار انطونيوس بلبنان، وعملت على تدريس اللغة العربية ،والسريانية ، واللاتينية وعلم اللاهوت ،وكذا مدرسة عين طورة التي أسست من قبل المبشرين اليسوعيين في منطقة كسروان [1].

واشتد التنافس الديني والتعليمي للمبشرين على مختلف المستويات ، ففي الفترة مابين (1834-1860م)واستطاع المرسلون الأمريكيون تأسيس أكثر من 33مدرسة ابتدائية وثانوية في بلاد الشام ،واستقدموا مطبعتهم العربية من مالطة إلى مدينة بيروت ، والتي ش رعت في طباعة الكتب المدرسية كما سارع اليسوعيين إلى امتلاك مطبعتهم الكاثوليكية، وقد أسهمت عملية استجلاب المطابع إلى البلاد العربية في طباعة التراث العربي الذي أخذ يشق طريقه إلى النور بعدما كان حبيس المخطوطات،كما دأبت هذه الإرساليات في تأسيس مؤسسات تعليمية عالية لاستكمال مهامها التربوية التبشيرية باشارت في إنشاء الكليات والجامعات،وكان السبق للبروتستانت بتأسيس الكلية السورية الأنجيلية سنة 1866فقد خدمت هذه الجامعة خدمات جليلة للغة العربية ،و في هذا السابق أشاد جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب بالدور الريادي لها قائلا :"إنه كان للجهود التعليمة التي بذلها المبشرون الأمريكيون في ذلك العهد المبكر ميزات من بينها ميزة كبرى هي لإحلال اللغة العربية محل الصدارة ،وما إن حلوا عبئ التدريس بها حتى أخذوا على عاتقهم واجب إصدار الكتب الملائمة ، وكان في هذا الرواد الأوائل الذين كان لجهدهم الفضل الأكبر فيما تميزت به الحركات الأولى للنهضة العربية"[2].

[1] الغالي غربي:المرجع السابق، ص217.

[2] المرجع نفسه ، ص218.

وقد بلغت المنافسة التربوية ذروتها بتأسيس الي س وعيين لجامعة القد يس يوسف سنة 1875والتي تخرج منها آلاف الطلاب من مختلف التخصصات العلمية والأدبية ،فبرغم من الأثر السلبي الذي خلفته هذه الإرساليات خلال عملها في خدمة الاستعمار الأوروبي ، والأهداف الدينية الجلية في بلاد الشام إلا أنها عملت على نشر التراث العربي من خلال اهتمامها باللغة العربية ،وعملت على إعداد جيل من المثقفين العرب[1].

ب–العوامل الداخلية:

1/التنظيمات العثمانية:

بدأت عملية الإصلاحات في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان مصطفى الثالث(1789ـــ1774 م) وأرتكز الإصلاح في البداية على الجيش ليتطور الأمر في عهد السلطان سليم الثالث(1807م -1751 م) اذ أنشأ ما يعرف "بالنظام الجديد"، والذي سبب في قتله من طرف الإنكشارية، ليواصل السلطان محمود الثاني مسيرة الإصلاحات في محاولة للإصلاح والتجديد، والذي رأى ضرورة شمولها لشتى الميادين لضمان نجاحها، وقد أنهى سيطرة الإنكشارية ، وتدخلها في الشؤون العسكرية والإدارية للبلاد في جوان 1826م فيما عرف باسم"الواقعة الخيرية"لتتابع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد(1861 م-1839م)، والذي أصدر "مرسوم كلخانة" بتاريخ 3 نوفمبر 1839م ،ويقضي بالمساواة بين رعايا الدولة العثمانية، وتأمينهم على أرواحهم وموالهم، و"خط التنظيمات الخيرية" في 18 فيفري 1856م ركز فيه بشكل واضح على حقوق الطوائف الغير الإسلامية، ومصالحها خاصة مبدأ المساواة القانونية والمدنية لكافة رعايا الدولة، إضافة إلى سعيه لإصلاح المنظومة التعليمية[2].

وقد جاءت هذه المساواة القانونية بين مسلمي الدولة، ومسيحيها في الوقت الغير المناسب، فما إن انتصف القرن 19م حتى كان مبدأ القومية الغربي قد اشتد ساعده بدعوى حماية الأقليات الدينية، التي أثرت الانفصال عن الدولة العثمانية ،وقد تأثر بالروح القومية في البداية كل من الصربيين واليونانيين وكان عرب آخر من مستهم المشاعر القومية وما أثارته لدى الشعب مبدأ المساواة لعدم

[1] الغالي العربي، المرجع السابق، ص218.
[2] محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص277.

معاقبة الشخص دون محاكمة ،وضرورة وضع مشروع لإبطال المتاجرة بالوظائف التي كانت سبب رئيسيا في فساد الحكم ،وعلى الرغم من أن هذه التنظيمات قد وضعت مبدأ المساواة على الورق إلا انه لم يطبق على أرض الواقع مما أدى إلى اتساع الحركة نحو تلك الحقوق التي تنبهت لها الشعوب العربية[1].

2/أثر الحكم المصري على بلاد الشام

قام محمد علي باشا أثناء حكمه لبلاد الشام(1931 م- 1940م) بإرسال البعوث العلمية إلى فرنسا فاستفادت من نظمها العلمية حيث قسمت التعليم إلى ابتدائي وثانوي وعالي ،وفتح ت المدارس في بلاد الشام عند دخول إبراهيم باشا في النصف الثاني من القرن التاسع 19م على نطاق واسع لاسيما المدارس العالية في دمشق وحلب ،بالإضافة إلى قيا م مطبعة الشام بنشر الكتب باللغة العربية، مما فتح أفاق جديدة أمام التعليم ،وقد ساعد ذلك على وضع الأسس الأولى للاهتمام بالتراث العربي، ومع الاحتكاك لي الشعب العربي في مصر وبلاد الشام تيقظ الشعور القومي العربي[2] .

كما تركت سياسة التسامح التي انتهجها إبراهيم باشا أثر كبيرا في إحداث نهضة ثقافية وأدبية ببلاد الشام وكانت وراء فتح العديد من المدارس على النمط الذي أقامه والده في مصر كالمدارس الأجنبية التابعة للإرساليات التبشيرية، وأستطاع هذا الحكم بذلك أن ينبه مشاعر السكان العرب من ناحية، وأن يحدث نهضة ثقافية بإنتشار التعليم، وأزدياد أعداد المدارس والصحف والمطابع، وتأسيس الجمعيات الأدبية والسياسية وكل ذلك كان يعتبر من العوامل الداخلية التي ساعدت على بعث اليقظة العربية وتطورها[3].

[1] احمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص210-214.
[2] جميل بيضون: المرجع السابق، ص143-144.
[3] محمد عرابي نخلة: المرجع السابق، ص278.

المطلب الثاني :رواد النهضة الفكرية ودورهم في بعث اليقظة العربية ببلاد الشام

لقد شهد بلاد الشام منذ منتصف القرن 19م ،وحتى بداية الحرب العالمية الأولى ظهور عدد من المفكرين والأدباء والكتاب الذين أسسهم بدور فاعل ومؤثر في بعث اليقظة العربية بالم نطقة ، وسنورد بإيجاز ترجمة لعدد منهم في مقدمتهم[1]:

1/الشيخ ناصف اليازجي:(1800-1871):

عالم لغوي وشاعر لبناني ولد سنة 1800في بلدة كفر شيما إحدى قرى ساحل بيروت أقبل على قراءة مصادر الأدب العربي ،ونبغ في المجال لما عرف عنه من النباهة ، والجلد والجد والاجتهاد ليوقف حياته بعد ذلك على خدمة اللغة العربية فعمل في ديوان الأمير بشير الشهابي كاتب لمدة 12سنة فنبغ في التأليف ، ونظم الشعر واتصال بالأدباء والشعراء المشهورين ببلاد الشام ، وذاع صيته وأصبح علم من أعلام اللغة العربية ، وقد عمل مع المبشرين الأمريكان مص ححا في مطبعتهم لبعض الكتب المدرسية كما عمل مدرسا للغة العربية في الكليات السورية الإنجيلية[2].

وقد أصدر اليازجي العديد من المؤلفات في اللغة العربية والنحو و البلاغة منها كتاب "عقد الجمان" في البلاغة وكتاب "فصل الخطاب" في لغة الإعراب ،وهو كتاب في الصرف والنحو ، وكان هدفه تسهيل مهمة المعلمين في مدارس المبشرين الأمريكان في لبنا ن ، وقام اليازجي بالتعاون مع بطرس البستاني وإيلي سميث بترجمة التوراة ترجمة جديدة إلى اللغة العربية ،ولم يقتصر أثر اليازجي على ذلك بل تعداه إلى أن بيته أصبح مقر الندوات الفكرية التي يت ردد عليه ا الأدباء والشعراء والكتاب ،وكل المهتمين بإحياء التراث العربي، وقد حث اليازجي التلاميذ والمترددين على ندوته إلى ضرورة العمل على إحياء تراثهم بغض النظر عن أديانهم[3].

---

[1]، محمد عرابي نخلة: المرجع السابق، ص284.

[2]مصطفى طلاس :الثورة العربية الكبرى ، دار طلاس للدراسات والترجمة ، ط4، 1987،دمشق ص52.

[3]محمد عرابي نخلة:المرجع السابق، ص285.

2/بطرس **البستاني(1819– 1883)** :

عالم لغوي وأديب لبناني ولد بقرية الديبة اللبنانية في أسرة من العلماء والأدباء ورجال الدين تلقى علومه الأولى على يد الخوري ميخائيل البستاني، ثم ألتحق بمدرسة عين ورقة بلبنان وأمضى فيها عشر سنوات حتى أتقن اللغة العربية، وتلقى دروسا في السريانية، اللاتينية،الإيطالية، الفلسفة، اللاهوت والتاريخ بعد تخرجه منها التحق البستاني للعمل مدرسا للغة العربية،في دار المعلمين في قرية عبية، ومن أهم أعماله تأليفه "قاموس المحيط"باسم دائرة المعارف ،وقد صدر منه ستة أجزاء قبل وفاته سنة 1883،وأتجه البستاني إلى الصحافة للتعبير عن أرائه فأصدر سنة 1860جريدة أسبوعية تحمل اسم"نفير سوريا"،وأوقفت هذه الجريدة معظم جهودها لمحاربة الحقد الطائفي، ونشر الثقافة لأنه كان يرى أنها تؤدي إلى الإستنارة العقلية للقضاء على التعصب والتنافر بين الطوائف المتعددة فكان كلام البستاني يحمل في طياته نواة فكرة القومية العربية حيث سعى للتحقيق تلك الفكرة فأنشأ سنة 1863مدرسة عالية أسماها"المدرسة الوطنية"والتعليم بها كان يتم على أساس فكرة التسامح الديني ، وكرس تلك المحاضرات للإشادة بالثقافة العربية وبدور العرب في بناء الحضارة الإنسانية، وفي سنة 1870أصدر مجلة أدبية سياسية نصف شهرية باسم "الجنان"وتحت شعار"حب الوطن من الأيمان"وذلك من أجل التفاهم، الإتحاد و خير الوطن [1] .

3/**عبد الرحمان الكواكبي :(1848–1902)**:

كاتب سوري من زعماء الإصلاح ولد في مدينة حلب شب عفيف اللسان ،متزن الحديث ، نزيه النفس شجاعا في قوله وعمله ،متواضع للضعفاء والفقراء ، ويدافع عن قضاياهم ،ويحب الحق والتضحية من أجل الفضيلة

ت لقي عبد الرحمان الكواكبي في المدرسة الكواكبية السائرة وفق الطريقة الأزهرية تعليمه ، انكب على قراءة الكتب التاريخية، وأهتم بقراءة قوا نين الدولة العثمانية ، وبدأ حياته العلمية بالإشغال بالصحافة بإصدار عدد من الصحف منها الشهباء ، وعمل بالمحماة تميز بالجرأة ،مما جعله يصطدم بعدد من المسؤولين منهم عارف باشا والي حلب الذي زجى بالكواكبي في السجن [2] ليخرج براءة فيما بعد ،

[1] مصطفى طلاس :المرجع السابق،ص52.

[2] جورج أنطونيوس:المرجع السابق،ص168

وامتاز الكواكبي بقوة بشعوره بفساد حال المسلمين ،وتخصيص جزء كبير من حياته للتعرف على أحوالهم وعلاج قضاياهم ،فقد ساح من أجل ذلك في بلاد المسلمين وبذل جهودا كبيرة تدل على أصالته ،وتوقد ذهنه وتمثلت هذه الجهود في كتابين متمازين هما[1]:

"طبائع الاستبداد "و"أم القرى"وأعتبر الكتاب الأول نقدا للحكومات الإسلامية ، بينما أعتبر الثاني نفدا للشعوب الإسلامية ،واعتبرت كتابته من الموضوعات الخطيرة كونها تمس بنظام الحكم ، وتحض الشعوب على المطالبة بحقوقها،فقد بين في كتابه الأول أن الاستبداد صفة لل حكومة المطلقة العنان التي تتصرف في شؤون الرعية كما تش اء بلا خشية حساب أو عقاب ، وقد أورد في كتابه صفات الحكم المستبدفقال بأنه يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإراد اتهم ويحكم بهواه لا بشر يعهم والمستبد عدو الحق، وعدو الحرية وقاتلها[2].

وتوصل إلى أن الحاكم المستبد يتخذ بطانة من أهل الدين يعيشونه على ظلم الناس ، وأشار إلى أن القرءان مملوء بالتعاليم التي تقضي بإماتة المستبد والتمسك بالعدل والخضوع لنظام الشورى كما أن المستبد يخشى العلم لأن العلم نور ووضح أثر الاستبداد في فساد الأخلاق ،وخلص إلى أن الاستبداد يمنع الترقي وللقضاء عليه ينبغي مقاومته بالل ين وبالتدريج وبالحكم ،فأوضح بأن الحكومة المستبدة تشمل حكومة الفرد المطلق وحكومة الجمع ولو كان منت خبا إذا استبد، أما الكتاب الثاني "أم القرى"شخص فيه أمراض المجتمع الإسلامي ، وعالجها وحدد معنى الإسلام الصحيح وانه يقوم على أساس جملتين هما "لا إله إلا الله ""محمد رسول الله"وإن ثمرة الإيمان بالأولى عتق العقول من الأسر وثمرة الإيمان بالثانية الاهتداء بالرسول صلى الله عليه مسلم وبتعاليمه التي تحول بين المرء والشرك الذي يعد أخطر عدو للمسلم وخلص إلى تحديد أسباب فتور العالم الإسلامي[3].

وبذلك كان الكواكبي أحد الأعلام الذين قدموا فكرا إصلاحيا ساعد في تنبيه المسلمين بشكل عام والعرب خاصة إلى ضرورة اليقظة ، وقد أكد أن العرب هم الأمة الجدي رة بحفظ الإسلام من الفساد، ودعا إلى خلافة عربية و إلى نقل ميزان القوة من العثمانيون إلى الجزيرة العربية .

[1] جورج أنطونيوس:المرجع السابق،ص168.

[2] عبد الوهاب الكيالي،المرجع السابق، ص761.

[3] عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الإستبداد ومصارع الاستعباد،تق: أسعد السحمراني، ط3، دار النفائس، 2006، ص171.

4/نجيب عازوري:(1881-1916)م:

ولد نجيب عازو ري بيروت بداية تولى وكالة متصرفة القدس ثم عزل فسا فر لبار يس، حيث نشط في العمل الأساسي ضد الدولة العثمانية، وبغية تحقيق الاستقلال العربي افتتح نشاطه بتأسيس جمعية سياسية تحت اسم "جامعة الوطن العربي" والتي انضم إليها بعض المثقفين الأحرار ب بلاد الشام من الموجودين في باريس، وكان هدفها المعلن هو تحرير بلاد الشام من السيطرة العثمانية، وقد جاء في أحد بياناتها الموجه للرأي العام الأوربي: "إن العرب الذين لا ي ست بد بهم الأتراك إلا بفضل سياستهم القائمة على إبقائهم مقسمين بأسباب واهية من ال م ذهب، أو ال دين، وقد وعوا وحدتهم القومية والتاريخية والجنسية وأنهم عقدوا العزم على الانفصال عن الدولة العثمانية وتكوين دولة مستقلة بهم"،كما اصدر عازوزي سنة1905م كتابا في باريس أسماه"يقظة الأمة العربية في أسيا التركية "الذي ترجم للعربية ،ونشر بيروت سنة1978م ، وفي سنة 1907أصدر مجلة بعنوان " الاستقلال العربي" وقد دعا في كتاباته إلى إقامة أمة عربية واحدة تضم المسلمين والمسحيين"[1].

المطلب الثالث:المظاهر الفكرية لليقظة ببلاد الشام

تتعدد المظاهر الفكرية لليقظة العربية إبان القرن19م وأوائل القرن20م والتي نجملها في الأتي:

01-انتشار حركة التعليم وتنوع أهدافها :في القرن 19م سواء ما كان ي تم منه برعاية الدولة العثمانية، او بواسطة المؤسسات الوطنية و الإرساليات التبشيرية ، فقد توسعت حركة التعليم من خلال ازدياد عدد المدارس بمختلف أنواعها الأكاديمية والمهنية والابتدائية والتجهيزية والعالية ، وذلك بفعل سياسة إبراهيم باشا التعليمة في سوريا وسياسة التنظيمات العثمانية الإصلاحية في عهد حكم مدحت باشا لسوريا.

وشهد التعليم تطورا كبيرا اثر تنظيم الدولة العثمانية له بموجب نظام خاص بالمعارف صدر سنة 1869م وصيغ 169مادة وبموجبه انقسمت مراحل التعليم إلى خمس مراحل بدأ بالمرحلة الابتدائية الإلزامية لمدة أربعة سنوات و يتم التدريس باللغة التركية و المرحلة الثانية [2] المسماة بالمرحلة

[1] محمد عرابي نخلة:المرجع السابق، ص291 .
[2] المرجع نفسه، ص292

الرشيدية لمدة أربعة سنوات يلقى فيها الطالب علوم الدين و اللغة التركية ومبادئ العربية و الفارسية تليها المرحلة الإعدادية تلحق بها بالمرحلة الرابعة وتسمى مرحلة المدارس السلطانية يقبل فيها الطلبة الناجحون من الإعدادية و أخيرا المرحلة الخامسة وهي المدارس العالية و تشمل دار المعلمين و المعلمات و إلى جانب التعليمي الحكومي و جد التعليم الخاص سواء في المدارس الوطنية أو التبشيرية[1] .

02-انتشار الجمعيات الأدبية و العلمية و السياسية :

بدأت الجمعيات العربية أدبية الصبغ و كان لبنان أغنى الأقطار بها بد ئاً بالجمعيات الأدبية و العلمية مثل:

أ –الجمعية السورية : ألفها عدد من الأدباء ، و جمعية المسحيين منهم ناصيف ال ي ازجي و بطرس البستاني و أعضاء البعثة التبشيرية الأمريكية ببيروت كان لها جهود واضحة في إحياء التراث العربي.

ب– الجمعية العلمية السورية : تأسست سنة 1857م نالت اعتراف الحكومة و كان أعضائها خليط من العرب المسلمين و المسيحيين فلم يشارك بها الأجانب و من أعضائها محمد أرسلان.

ج– جمعية زهرة الأدب : أسست سنة 1872 م، و كان معظم أعضائها أدباء و علماء ووجهاء سورية و كان غرضها العلوم و ترقية الفنون بين الناطقين بالضاد، و من أعضائها سليمان البستاني .

د–جمعية باكورة سورية : حدثت نهضة نسائية في بيروت ،فأنشأت جمعيات خطابية ، و منها هذه الجمعية وضعت دستورا لها سنة 1881م ، وألقت العديد من المحاضرات[2].

ه–جمعية المقاصد الخيرية : تأسست سنة 1878م بدمشق، و كان لها فرع بيروت ، و كان غرضها انشاء المدارس و ترقية المعارف ،و الاهتمام بجمع المخطوطات و الكتب العربية القديمة ، أنشأت للبحث في التاريخ و غيره من العلوم للوقوف على تاريخ العرب ، و آدابهم و تراثهم العلمي المجيد ، ومن أعضائها البارزين الشيخ طاهر الجزائري إضافة إلى بعض الجمعيات النسائية الناشطة في النصف الثاني من القرن 19م، و أبرزها جمعية "شمس البر" و" زهرة الإحسان" في لبنان و جمعية " العفاف "

[1] محمد عرابي نخلة:ا لمرجع السابق، ص299.
[2] محمد عبد الله عودة:المرجع السابق،ص150.

بسوريا، إضافة للجمعيات السياسية حيث أحدثت دعوات المفكرين دويا مسم وعا في الأوساط الرسمية و الشعبية فأسست جمعيات سياسية تمثلت في[1] :

***جمعية بيروت السرية سنة 1875م** : قامت بيروت و هي أول جمعية عربية سياسية سرية فتحت لها فروع في طرابلس، وصيدا و دمشق اقتصر نشاطها بداية على عقد الندوات ،و طبع المنشورات فصرغت بأسلوب وطني ثائر يندد بمساوئ الأتراك ،و يفضح أساليبهم الاستبدادية ، و يدعوا العرب إلى الوحدة الوطنية و نبذ الخلافات و قد تضمن أول بيان مدون عن برنامج العرب السياسي القومي المطالب الأتية:

1-منح سورية الاستقلال الذاتي متحدة مع جبل لبنان.

2-الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد[2].

3-رفع الرقابة و القيود التي تح من حرية التعبير و نشر الكلام.

4-جعل الخدمة العسكرية للشبان في حدود الأقاليم العربية و ضم ت 23 عضوا من مختلف الأديان تهدف إلى الثورة ضد الدولة العثماني .

***رابطة الوطن العربي في باريس** : أسست من طرف نجيب عازوزي ، كانت تهدف إلى تحرير بلاد الشام من سيطرة الأتراك ،و جعل الحجاز مقرا للخلافة العربية الإسلامية ،حيث اصدر عازوري كتابا بالفرنسية بعنوان" يقظة الأمة العربية أمام مصالح و منافسة الدول الأجنبية.

" Reveil de la nation en presence de interets et de rivalites de reuaissances etrangeres"[3]

كما دعا عازوزي إلى إنشاء دولة دينية في الحجاز، و دولة عربية علمانية تضم بلاد الشام و يترأسها احد أفراد الأسرة الخيدوية بمصر و ذلك تفاديا للنزاع الطائفي ، و بذلك كان للجمعيات اثر

[1] محمد عبد الله عودة:المرجع السابق، ص151.

[2] محمود صالح منسي:حركة اليقظة العربية،دا ر الفكر العربي،(د،ط)،القاهرة،1982، ص08.

[3] محمد عبد الله عودة:المرجع السابق، ص153-154.

مهما في توعية العرب ،و نشر التعلم ،و القيام بالأعمال الخيرية ،و انتقال حركة الوعي القومي و الثقافي مما زاد من المطالبة بالحرية و الاستقلال[1] .

03-انتشار الصحف :

لقد لعبت المطابع والصحف دورا مهما في بعث اليقظة ،وأصبحت أيضا مظهرا من مظاهرها ،وكانت أول مطبعة عربية قد تأسست في أوائل القرن السادس عشر عندما أمر البابا بيوليوس الثالث بتأسيس مطبعة عربية في اطليا ،أما أول مطبعة تأسست في لبنان فكانت مطبعة "دير قزحيا " جنوب طرابلس ،وأصبحت الصحف الينبوع الذي ينهل منه العرب ثقافتهم ، و أفكارهم في النصف الثاني من القرن 19م ،إذ شهدت بلاد الشام نشاط صحفيا كبيرا خاصة بيروت و دمشق ، ففي سنة 1858م صدرت صحيفة "حديقة الأخبار "كأول جريدة تصدر في بلاد الشام لصاحبها خليل الخوري ،و في سنة 1860م صدرت صحيفة" الجوانب "في الأستانة لصاحبها احمد فارس الشدياق ، و في نفس السنة صدرت جريدة "نفير سوريا "في بيروت لصاحبها بطرس البستاني إضافة إلى صحيفة " ثمرات الفنون " لصاحبها عبد القادر القباني كأول صحيفة عربية إسلامية، ثم ازداد عدد الصحف انتشار ليرتفع إلى 150 صحيفة في الفترة ما بين 1876م-1914م، وفي بيروت وحدها بلغ عدد الصحف عام 1882م حوالي 30 صحيفة منها 8 صحف يومية ،فقد عالجت هذه الصحف جميع قضايا العرب السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و غدت مظهرا دالا على اليقظة العربية الحديثة"[2].

المبحث الثاني: ماهية الحركة القومية العربية.

كانت البلاد العربية الواقعة تحت نفوذ الإمبراطورية العثمانية خلال الجزء الأخير من القرن 19م، وبداية القرن20م تسير بخطى سريعة نحو الاضمحلال في حين أخذ نفوذ الدول الغربية يفرض نفسه أكثر من أي وقت مضى ،وفي تلك الأثناء بدأ الوعي القومي العربي في التزايد ،بينما فقد التيار الداعي إلى الالتفاف حول الإمبراطورية العثمانية شعبيته تدريجيا والغاية من هذا المبحث تسليط

[1] محمود صالح منسي:المرجع السابق، ص89.
[2] محمد عرابي نخلة:المرجع السابق،، ص301.

الضوء على نشوء وتطور الحركة القومية العربية من بدايتها في القرن 19م وذلك من أجل وضع حركة القومين العرب في سياقها التاريخي الصحيح"[1]

المطلب الأول:عوامل تطور الوعي القومي:

يعود نشوء الوعي القومي في الأقاليم العربية بصفة عامة وفي بلاد الشام على وجه الخصوص إلى عوامل عديدة أهمها:

1/حالة التفتت والتدهور التي عانت منها الإمبراطورية العثمانية والتي أدت في وقت لاحق إلى تجزيئها فقد كان لانتصار القومية في البلقان أثر على رعايا السلطان في الأقاليم العربية وخاصة في أوساط المسحيين"،كما أن النجاح في فصل الجهاز الإداري في مصر بقيادة محمد علي باشا ،وتدخل القوى الأوربية في الشؤون الداخلية للإمبراطورية العثمانية كان دليل بين آخرين على أن الحكم العثماني لم يكن يملك المناعة أو الاستقلالية[2] .

2/فشل الحركة الخاصة بوضع البرامج الإصلاحية الشاملة التي حاول كل من سليم الثالث (1789م-1808م)ومحمود الثاني ،ومحمد علي باشا توظيفها لمقاومة تهديدات القوى العصرية في تحقيق أهدافها بل أن هذه الحركة ولدت عكس ما استهدف منها فقد اشتمل البرنامج الإصلاحي على أساليب عسكرية أوروبية إذ أن الحكم العثماني كان يعتمد تقليدا على التفوق العسكري ،وأدخلت بالإضافة إلى ذلك حياة جديدة إلى التنظيمات الإدارية الداخلية للإمبراطورية العثمانية وتم ذلك فيما عرف بإسم" التنظيمات الخيرية" ومن الملاحظ أن الإجراءات الإصلاحية لم تتم بصورة كليةإذا أغ فل ت

[1] باسل الكبيسي :حركة القوميين العرب ،ط2،دار العودة ،ص41والقوميةهي عبارة عن شعور وعاطفة تربط أفراد الأمة الواحدة تنشأ فيما بينها روابط متعددة عبر التاريخ (كاللغة، الدين ، التاريخ ، العادات)وهي تختلف من أمة إلى أخرى.

[2] -أنظر المصدرين:

*Majed khadduri: palitical treands in the areb world baltimore the john hopeins presse 1970, p14 and:

*Albert hourani : Arebic thoughoutin the libera age (1798-1939), London, oxsford unversity press1962, p262.

الأسس الشرعية والأخلاقية للإمبراطورية العثمانية ،وبذلك ولدت استعارة الأساليب الفنية الجديدة من الغرب نشاط ذاتي الحركة ساعد في نشر قيم وأهداف العالم الغربي[1].

3/أيقظ الأثر الناجم عن التوسيع الغربي الذي لمس لأول مرة خلال الاحتلال الفرنسي لمصر سنة 1979م ، فقد وضع الحكم الفرنسي جزء من السلطات السياسية في أيدي بعض العناصر المصرية الواعية وتحديدا الشيوخ المتعلمون ،وقد استفاد هؤلاء من تعلم مبادئ الإدارة المنظمة[2].

وبفعل هذه العوامل تمت فكرة القومية العربية بدأ بالصعيد الأدبي ،واتخذت من سوريا وبيروت مركز لأعمالها حيث المعاهد العلمية العالية ،وحيث تجمعت نخبة من المفكرين ارتبطت ثقافتها بالحضارة الغربية وظهر التضامن الفكري والاجتماعي بين أفراد تلك النخبة المستنيرة على أساس قاسم مشترك هو العروبة ضمن جمعيات سرية أخذت على عاتقها تعليق المناشير العدائية للأتراك في بعض المدن السورية ،وبيروت ،ودمشق مطالبة بالاستقلال وبالاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية للبلاد ،ونددت بمطالب الإدارة التركية كما دعت للوحدة الوطنية و إلى العصبية القومية ،وظهرت معظم المناشير الثورية أثناء ولاية مدحت باشا على سوريا[3]

المطلب الثاني:خصوصيات ومراحل الحركة القومية العربية

كانت السياسة القومية لدى الاتحاديين سببا في دفع النبهاء من العرب إلى أن يطالبوا بحكم اللامركزية ينالون به حقوقهم المشروعة وذالك أن سياسة التتريك كانت تقوم على الإرهاب ،فكان لذالك الأثر الواضح في تحويل القضية العربية من مجرد دعوى إلى الإصلاح واللامركزية في إطار الدولة العثمانية الموحد حركة سياسية جادة ترمي إلى استقلال البلاد ثم إلى ثورة مسلحة ضد الأتراك [4]

ومن خصوصيات الحركة القومية مشاركة العنصر المسيحي الذي لعب دورا بارزا ،وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها في مساهمة المدارس التبشيرية في إعداد جيل من المسحيين العرب المؤمنين بفكرة القومية العربية وسعي الطبقة البرجوازية التي عرفت من خلال التعامل مع الجاليات الأوربية إلى اتحاد دور له ا في

[1] khaddouri loc and zeine.n.zeien: The emergence Of areb nationalium beirut, 1966.

[2] باسل الكبيسي:المرجع السابق،ص43-44.

[3] زين نور الدين زين:نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية للعلاقات العربية التركية(د،ط)، بيروت،1968،ص46.

[4] سهيار الجمل :المرجع السابق ،ص 520.

الحياة السياسة والتطلع إلى الحكم،وقد مرت الحركة العربية القومية في تطورها التاريخي بدورين أساسيين هما:

الدور الأول:بدأ من سنة 1908م إلى غاية 1911م .

الدور الثاني :من سنة 1911م إلى غاية الحرب العالمية الأولى سنة1914م[1].

في الدور الأول أو المرحلة الأولى :كان زعماء الحركة يناضلون من خلال الحركة التركية القومية التي قوى عودها إبان السلطان عبد الحميد الثاني ، فقد حدث التقارب بين الحركتين لوجود قواسم مشتركة وقد بين المثقفون العرب من خلال الصحف والجمعيات حملة تنديد ،واستنكار ورفض للسياسة الاستبدادية فكانت بداية الحياة الحزبية العربية وانخر اط بعض العرب في جمعية الإتحاد والترقي ،كما ظهر حزب" العربية الفتاة "وهو تقليد لحزب" تركيا الفتا "ة،إلا أن أفكار الحركة العربية القومية لم تجد الانتشار والتجاوب من كافة العرب بسب تقوقع الحركة في حيز جغرافي ضيق باقتصاره على بلاد الشام والعراق،أما الدور الثاني أو مرحلة الثانية :فقد بدأت الحركة العربية تتخذ لنفسها نهجا سياسيا ،وموقفا مغاير ومتميزا عن الحركة القومية التركية من الدولة ،وقد لعبت سياسة الاتحاديين دورا أساسيا في تغير مواقف الحركة العربية[2].

وكانت نتيجة هذا الاختلاف في التعامل مع القضايا السياسية المطروحة تأخر في بلورة البديل الحضاري الذي يمكن للعرب من خلاله مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي كانت تعصف بالبلاد العربية في تلك الحقبة التاريخية كما اظهر قصور العقل العربي في فهم طبيعة وأهداف الاستعمار الأوربي الحديث الذي كان يخطط لفرض هيمنته على المنطقة العربية[3] .

[1] الغالي غربي:المرجع السابق، ص240.
[2] المرجع نفسه، ص241.
[3] الغالي غربي:المرجع السابق ، ص241_242.

المبحث الثالث:سياسة التتريك وردود الفعل العربية.

إن انقلاب الحركة القومية العربية من حركة إصلاحية تدعو إلى استقلال ذاتي إلى حركة ثورية تشهر السلاح في سبيل الاستقلال التام كان نتيجة لسياسة ا لتتريك التي مارسها العثمانيون أو اخر حكمهم للولايات العربية.

المطلب الاول:مفهوم سياسة التتريك .

يعنى بسياسة التتريك صبغ جميع ولايات الدولة بما فيها الولايات العربية بالص بغة التركية ،وفرض اللغة التركية لغة رسمية في المدارس والمحاكم ،وترجيح مصالح الأتراك بغض النظر عن الإضرار بالرعايا غير الأتراك ، وتطبيق سياسة التتريك يؤدي إلى حكم الدولة على أساس السيادة الجنسية للعنصر التركي وتكون الدولة تركية لا عثمانية،وقد ظهرت سياسة التتريك هذه في أوسط القرن 19م كرد فعل على مؤثرات الثقافة الغربية وانتفاضات شعوب البلقان القومية ضد الدولة العثمانية على اثر ازدياد الخطر الأجنبي على الدولة هدفت إلى مجابهة وإيقاف خطر الانتفاضات القومية ،فأرتاء الزعماء الأتراك أن السبيل الصحيح لذلك يتمثل في تشكيل حركة إسلامية عالمية عمدت إلى السع ي في تترك الدولة من خلال جلة من التحركات أبرز[1]:

1/محاولة القضاء على اللغة العربية وطمس التاريخ العربي ، وإبعاد العرب عن المراكز الحساسة ،وقد رافق ذلك المحاولات الاستفزازية للشعور القومي العربي كطلب استبدال أسماء الخلفاء الراشدين من الجوامع ،ووضع أسماء السلاطين العثمانيين الأوائل مثل :السلطان سليم الأول والسلطا ن سليم القانوني[2].

[1] عبد العزيز محمد الشناوي :الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،ج1،(د ،ط)،المطبعة الجامعية ،القاهرة،1980،ص743.

[2] مصطفى طلاس :المرجع السابق،ص 53.

2/إندفاع الاتحاديون في تطبيق سياسة التتريك التي تهدف إلى طبع الدولة العثمانية كلها بطابع تركي وذلك من خلال فكرة "الجامعة العثمانية "[1]والحركة الطورانية وسلخ العرب عن لغتهم وتراثهم[2].

3/عمد الاتحاديون (أنصار حزب الإتحاد والترقي)إلى ترجمة القرءان الكريم إلى اللغة التركية ،ومحاولة جادة لعلمنة أنظمة الحكم جميعا ، ومنها نظام القضاء والتعليم[3]،ودعوا إلى إنشاء لغة جديدة " يي لسان "أي اللغة الجديدة وتبعه إتحاد حياة أي الحياة الجديدة"[4].

4/شعور إلى إحياء التاريخ التركي السابق للإسلام ،وتمجيد أبطاله فقد مجد وا جنكيزخان وهولاكو ، وهما المغول ،واتخذوا الأسماء القديمة لما قبل الإسلام ،كان شعارهم"صورة الذئب الأغبر "وهو شعار الترك أيام وثنيتهم"[5].

وبدأت ردود الفعل لدى العرب للمحافظة على تاريخهم ،ولغتهم وإحياء الهوية العربية ، و لم تكن هذه الحركة تحمل في طياتها بذور العداء للغرب فحسب بل كانت جريئة في أفكارها ،وإعادة قرأتها للدين كما يشهد ذلك كتاب "قوم جديد"لمؤلف عبيد الله أفندي الذي عينه جمعته الإتحاد والترقي مدرسا بمجمع أيايصوفيا[6]،وقامت مجلة "المنار "بترجمة أجزاء من كتاب "قوم جديد"ل لم ؤلف ،وذكرت أن الكتاب يجعل من الصلاة والزكاة والحج دين لقدماء المسلمين فقط وعبر عنهم بعبارة "قوم عتيق"[7].

كما صرح الكاتب بعدم جواز العمل بكتب فقه الأمة الأربعة ومقابل ذلك بين الك تا ب أركان دين جديد وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة وما كان يربط أولئك القوم بالخلافة

---

[1] الجامعة العثمانية :تهدف إلى صبغ القوميات المختلفة داخل الدولة بالصبغة العثمانية أو ما يسمى بعثمنة القوميات فالكل عثمانيون كما أن تطبيقها أدى إلى كبت القوميات الخاضعة للدولة العثمانية وحملها على التخلي عن أمانيها القومية.انظرعبدالعزيزمحمدالشناوي،المرجعا السابق،ص 743-744.

[2] ينظر :محمد حسني ، الإتجاهات الوطنية ،ج2،ص11، إسماعيل يمي،حاضر العالم الإسلامي ،ج2،وص88.والحركة الطورانية :تقوم على أساس أن الشعب التركي ينسب إلى أصول طورانية دعت إلى إحياء أمجاد الأتراك المعاصرين بتراثهم الحضاري القديم كما دعت إلى تخليد التراث التركي من المؤمرات العربية التي خلدت عليه وقدموا تأثر بتأسيس الأكاديمية التركية سنة 1913.انظرعبدالوهاب الكيالي، المرجع السابق،ص789.

[3] مجلة المقتطف :مج 49، ج5،نوفمبر1916،ص426.

[4] محمود صالح منسي :المرجع السابق،ص192.

[5] علي سلطان :لتويخ سوريا نهاية الحكم التركي ،(د ط)، دار طلاس ،دمشق ،1987،ص89-90.

[6] مجلة المنار:مج 19، 30جوان 1916، ص156.

[7] محمد فاروق الخالدي :المؤمراة الكبرى على بلاد الشام ،ط1، دار الداوي ،2000،ص 99-100.

الإسلامية سوى احتفاظ الخلفية رمزي لا يملك شيئا [1]،كما أن الحركة الماسونية كانت وراء تطور مفهوم الحركة القومية فقادات الإتحاد كان بعضهم من الأحرار الماسونيين[2]

المطلب الثاني:ردود الفعل العربية

لقد كانت سياسة التتريك وإحياء العصبية الطورانية عوامل أساسية في تحول أصحاب القضية العربية نحو المطالبة بالاستقلال وبالحكم اللامركزية عل الأقل،و أبحر عن سياسة التتريك التي انتهجتها الدولة العثمانية في أواخر عهدها ،وبالتحديد بعد الانقلاب الدستوري سنة 1908 م واستيلاء جمعية الإتحاد والترقي على الحكم وإقصاء السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم في العام الثاني سنة1909 م أدت إلى ما يلي:

1/-إقصاء الضباط العرب المقيمين في الأستانة إلى المناطق التركية النائية .

2/-توليد القيادة في البلاد العربية لضباط من الأتراك.

3/-مقاومة الحركة الإصلاحية العربية وتصفية زعمائها.

4/-إلغاء الأحزاب العربية ومطاردة زعمائها والتضييق على الجمعيات الثقافية والسياسية.

وقد أدت تلك السياسة في نهاية المطاف إلى رد فعل عربي قومي تمثل في إعلان الثورة العربية الكبرى بزعامة شريف مكة الحسني بن علي ضد الدولة العثمانية سنة 1916م وقد أسهمت عو امل عديدة في بعث اليقظة في البلاد العربية على وجه العموم وبلاد الشام على وجه الخصوص سواء كانت خارجية أم داخلية[3].

كما أن نمو الحركة القومية العربية كان بفعل أسباب متعددة كانت نتيجة لسياسة التتريك الرامية إلى تهميش التراث العربي وإعطاء الأولوية للتاريخ ،والتراث التركي المجيد على عكس القومية العربية التي عملت على إحياء التراث العربي من خلال التمسك باللغة العربية كاللغة رسمية للبلاد العربية وإنشاء دولة عربية قومية بالحجاز عاصمتها مكة المكرمة ،والتي كان أغلب روادها في بلاد الشام أمثال اليازجي وعازوزي[4].

---

[1] محمد الخير عبد القادر :نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية،ص83.

[2] زين نور الدين زين : المرجع السابق ، ص186.

[3] محمد عربي نخلة :المرجع السابق ،،ص296.

[4] المرجع نفسه، ص297.

خلاصة:

نتج عن الأوضاع الاجتماعية وسوء الأحوال الاقتصادية في ظل الحكم العثماني لبلاد الشام تنامي الوعي القومي بفعل الحكم المصري المتعاقب على بلاد الشام ،حيث ظهرت اليقظة العربية في النصف الثاني من القرن 19م ،والتي تبلور فيها الفكر القومي العربي اث ر سياسة التتريك على يد ثلة من المفكرين المتنورين أمثال عبد الرحمن الكواكبي بفعل عوامل داخلية وخارجية إذ دعي هؤلاء المثقفين إلى الثورة ضد الاستبداد، والظلم المسلط من طرف السلطة الحاكمة .

كان التحول النوعي في الحركة القومية العربية من حركة إصلاحية تدعوا للاستقلال الذاتي إلى حركة ثورية تدعوا لشهر السلاح في سبيل تحقيق الاستقلال التام نتيجة لسياسة التتريك .

بالرغم من تعالي الطبقة التركية الحاكمة وحقد المجتمع الشامي على الحكام إلا أنهم تأثروا بالحكم التركي طيلة أربعة قرون .

خاتمة

خاتمة :

تبين من خلال درسنا لموضوع السياسة العثمانية ببلاد الشام خلال القرن 19م و بداية القرن 20م جملة من النتائج تمثلت في:

التباين الجلي والفرق الواضح بين أسلوب الحكم العثماني في ولايات المشرق العربي بصفة عامة وبلاد الشام على وجه الخصوص ،وأسلوب الحكم العثماني في أيالات شمال إفريقيا ويعود دلك لعدة أسباب وعوامل .

عمل الحكم العثماني علي توطيد سلطة حكمه في ولايات الشام عن طريق الحكم المركزي بإرساء هيكل تنظيماته الإدارية قسمت فيه المنطقة إلى ثلاث بشاويات يحكمها الولاة بإشراف من السلطة العثمانية .

أن أسلوب حكمهم ببلاد الشام كان مركزيا عن طريق الفرمانات ، فقد اقتصرت مهمة الدولة العثمانية على مسألة الدفاع عن الولايات وممتلكاتها، ثم تحصيل الضرائب ،أما وظائف الدولة الاجتماعية والاقتصادية، فكان خارجا عن مسؤولية الدولة العثمانية ،ويرجع المؤرخون ذلك إلى قصور في فهم طبيعة ومهمة الدولة ووظيفتها الاجتماعية عند الأتراك.

كان الحكم العثماني عسكريا فرجال الحكم والإدارة كانوا من قيادات الجيش، كما كانت الولايات العثمانية تقطع الأراضي لكبار رجال الجيش ، مما عمل على تدعيم الفروق الطبقة الخاصة وضم بلاد الشام خليط متجانس من الأجناس، والطوائف والزعامات والعشائر.

إتسم الحكم العماني بالمحافظة على الأوضاع التي كانت سائدة قبل مجيئه ،فلم تهتم الدولة العثمانية بشكل عام لتحديث نظم الحكم والقوانين السائدة مما حال دون تبني اتجاهات وأفكار جديدة في هذا الشأن .

انتهجت الحكومة العثمانية ببلاد الشام النظام الإقطاعي الخاص بالسباهية ،مما أدي إلى تدهور الزراعة وتهيش التجارة والصناعة ،والذي نتج عنه تخلف البلاد بالرغم من وجود إمكانيات إقتصادية كفيلة بدفع البلاد نحو التقدم والازدهار .

نظرا للوضع السياسي العام المضطرب قامت ببلاد الشام حركات إنفصالية دخلت في صراع مع الحكم العثماني حاولت الإمارة الشهابية بلبنان الاستقلال ، بالإضافة إلى تمرد علي بيك الكبير بعكا ما بين (1771م

1775م) ، وحركة ظاهر العمر مابين (1771م – 1775م) ، وحركة أحمد باشا الجزار في صيدا وعكا ودمشق مابين (1775م -1804 م) حيث تميزت بالتنوع والشمول.

نتج عن مظاهر الضعف والانحطاط التي تميزت بها أحوال الدولة العثمانية بروز حركات انفصالية أهمها، وأقواها حركة محمد علي باشا (1931م - 1941م) الذي أدرك انعدام قدرة السلطان العثماني عن إيقاف مشروعه التوسعي بضم بلاد الشام، وإقامة دولة مصرية من خلال سن إصلاحات جديدة سعت لتنظيم البلاد وتدبير أمورها إداريا وسياسيا وحربيا .

عقب جلاء الحكم المصري عن بلاد الشام ازداد النشاط الأوروبي في المنطقة بهدف تغذية الخلافات، وإشعال نار الفتن ، وبذر بذور الشقاق بين الطوائف تحت غطاء حماية مصالح الأقليات المسيحية بغرض التدخل في الشؤون الداخلية للدولة وسعيا للمحافظة على مصالحها.

أدى ذلك إلى نشوب الحروب الدينية والطائفية سنة 1860م وإحداث تنافر بين الدروز والموارنة وبين المسلمين والمسيحيين .

نتج عن الأوضاع الاجتماعية وسوء الأحوال الاقتصادية في ظل الحكم العثماني لبلاد الشام تنامي الوعي القومي بفعل الحكم المصري المتعاقب على بلاد الشام ،حيث ظهرت اليقظة العربية في النصف الثاني من القرن 19م ،والتي تبلور فيها الفكر القومي العربي اثر سياسة التتريك على يد ثلة من المفكرين المتنورين أمثال عبد الرحمن الكواكبي بفعل عوامل داخلية وخارجية إذ دع ى هؤلاء المثقفين إلى الثورة ضد الاستبداد، والظلم المسلط من طرف السلطة الحاكمة .

كان التحول النوعي في الحركة القومية العربية من حركة إصلاحية تدعوا للاستقلال الذاتي إلى حركة ثورية تدعوا لشهر السلاح في سبيل تحقيق الاستقلال التام نتيجة لسياسة التتريك .

بالرغم من تعالي الطبقة التركية الحاكمة وحقد المجتمع الشامي على الحكام إلا أنهم تأثروا بالحكم التركي طيلة أربعة قرون .

الملاحق

الملحق رقم: 01

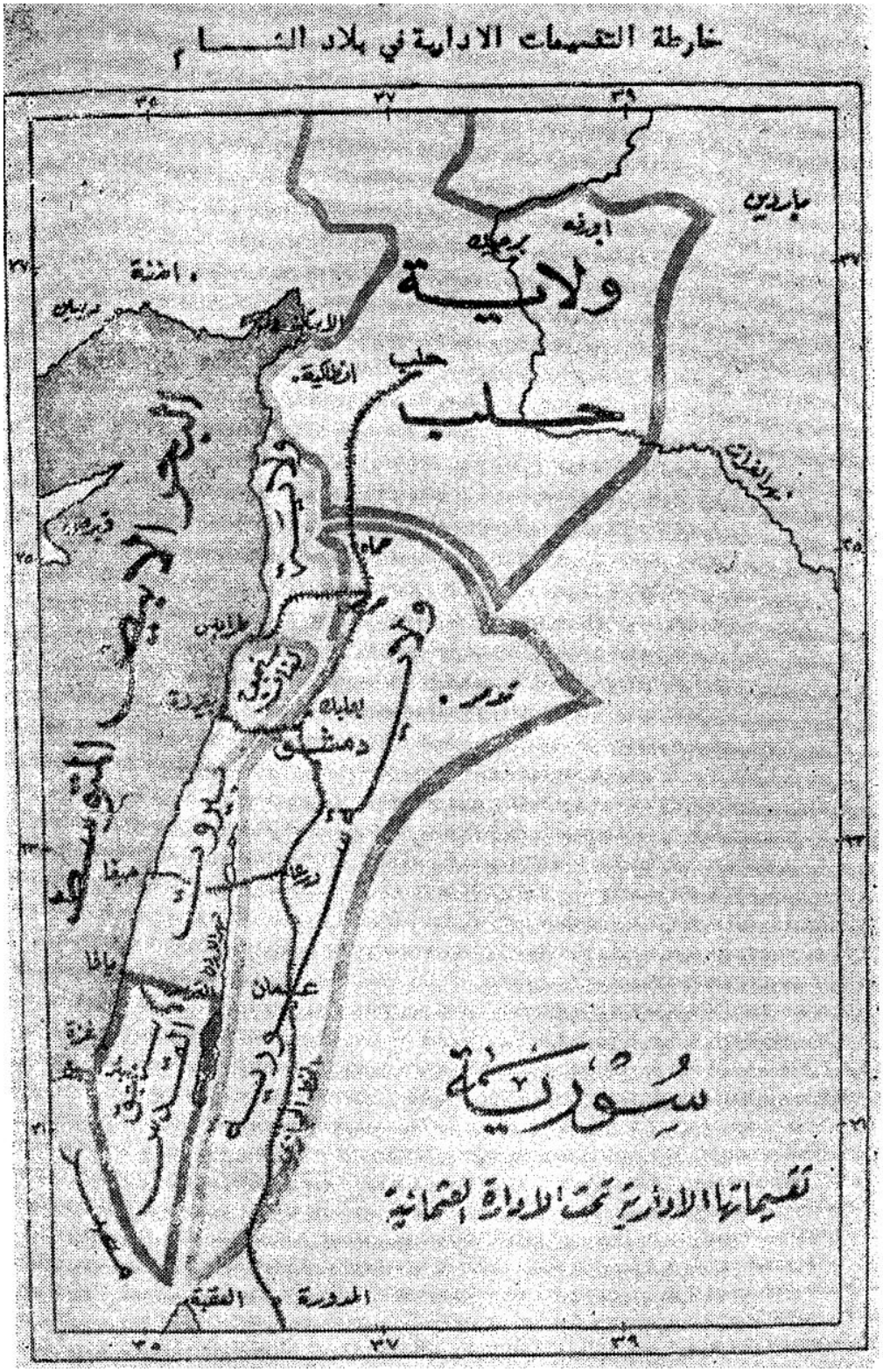

المرجع :محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، تق:أحمد عزت عبد الكريم،دار المعارف، ص 338

الملحق رقم : 02

ولاية سوريا في العهد العثماني

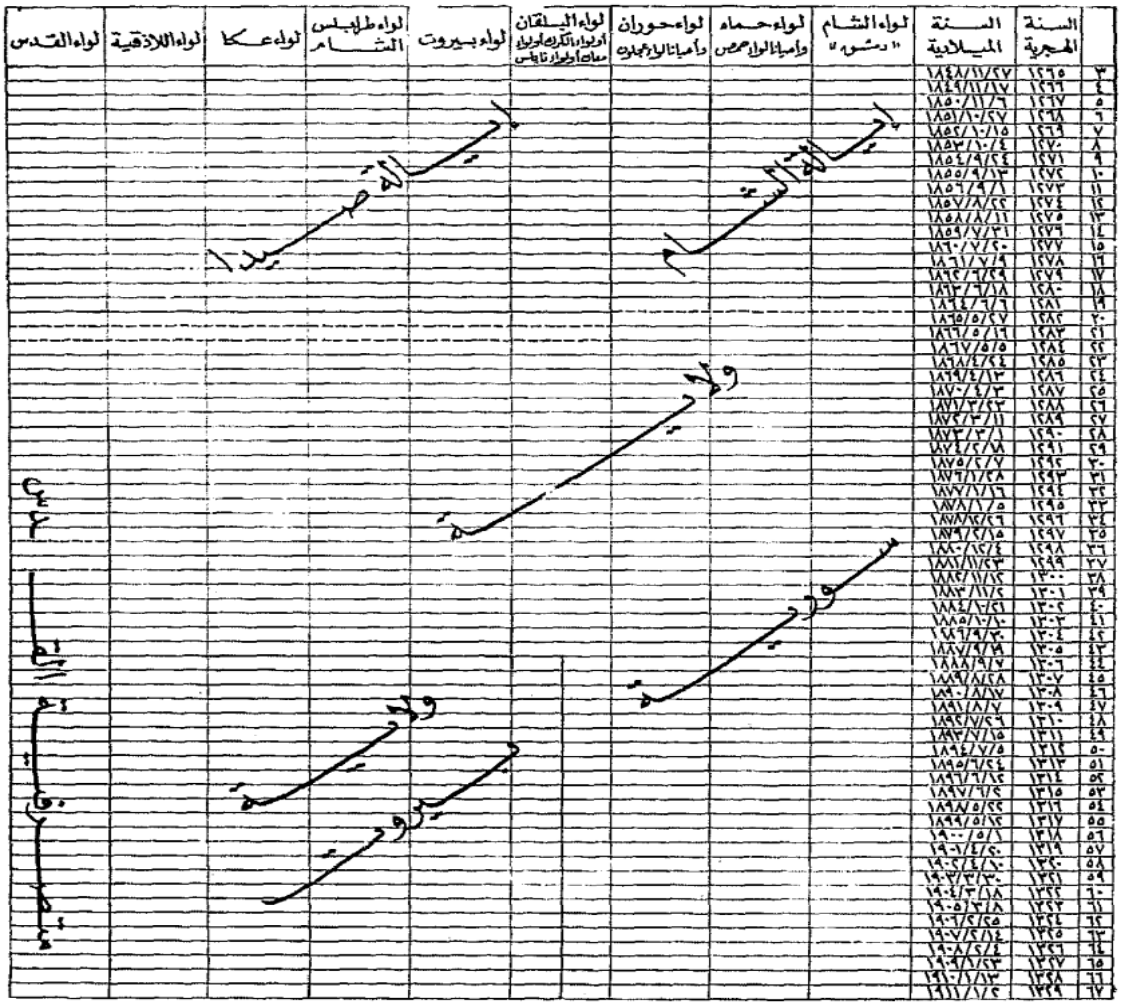

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	لواء الشام «دمشق»	لواء حماه وأمياليه لواء حمص	لواء حوران وأمياليه لواء عجلون	لواء البلقان أو لواء ادكاري أو لواء معاش أو لواء تاباس	لواء بيروت	لواء طرابلس الشام	لواء عكا	لواء اللاذقية	لواء القدس
٣	١٢٦٥	١٨٤٨/١١/٢٧									
٤	١٢٦٦	١٨٤٩/١١/١٧									
٥	١٢٦٧	١٨٥٠/١١/٦									
٦	١٢٦٨	١٨٥١/١٠/٢٧									
٧	١٢٦٩	١٨٥٢/١٠/١٥									
٨	١٢٧٠	١٨٥٣/١٠/٤									
٩	١٢٧١	١٨٥٤/٩/٢٤									
١٠	١٢٧٢	١٨٥٥/٩/١٣									
١١	١٢٧٣	١٨٥٦/٩/١									
١٢	١٢٧٤	١٨٥٧/٨/٢٢									
١٣	١٢٧٥	١٨٥٨/٨/١١									
١٤	١٢٧٦	١٨٥٩/٧/٣١									
١٥	١٢٧٧	١٨٦٠/٧/٢٠									
١٦	١٢٧٨	١٨٦١/٧/٩									
١٧	١٢٧٩	١٨٦٢/٦/٢٩									
١٨	١٢٨٠	١٨٦٣/٦/١٨									
١٩	١٢٨١	١٨٦٤/٦/٦									
٢٠	١٢٨٢	١٨٦٥/٥/٢٧									
٢١	١٢٨٣	١٨٦٦/٥/١٦									
٢٢	١٢٨٤	١٨٦٧/٥/٥									
٢٣	١٢٨٥	١٨٦٨/٤/٢٤									
٢٤	١٢٨٦	١٨٦٩/٤/١٣									
٢٥	١٢٨٧	١٨٧٠/٤/٣									
٢٦	١٢٨٨	١٨٧١/٣/٢٣									
٢٧	١٢٨٩	١٨٧٢/٣/١١									
٢٨	١٢٩٠	١٨٧٣/٢/١									
٢٩	١٢٩١	١٨٧٤/١/٢٨									
٣٠	١٢٩٢	١٨٧٥/١٢/٧									
٣١	١٢٩٣	١٨٧٦/١٢/٢٨									
٣٢	١٢٩٤	١٨٧٧/١١/١٦									
٣٣	١٢٩٥	١٨٧٨/١١/٥									
٣٤	١٢٩٦	١٨٧٨/١٠/٢٦									
٣٥	١٢٩٧	١٨٧٩/١٠/١٥									
٣٦	١٢٩٨	١٨٨٠/١٠/٤									
٣٧	١٢٩٩	١٨٨١/٩/٢٣									
٣٨	١٣٠٠	١٨٨٢/٩/١٢									
٣٩	١٣٠١	١٨٨٣/٨/٣١									
٤٠	١٣٠٢	١٨٨٤/٨/٢٠									
٤١	١٣٠٣	١٨٨٥/٧/٩									
٤٢	١٣٠٤	١٨٨٦/٦/٢٩									
٤٣	١٣٠٥	١٨٨٧/٦/١٩									
٤٤	١٣٠٦	١٨٨٨/٦/٧									
٤٥	١٣٠٧	١٨٨٩/٥/٢٨									
٤٦	١٣٠٨	١٨٩٠/٥/١٧									
٤٧	١٣٠٩	١٨٩١/٥/٧									
٤٨	١٣١٠	١٨٩٢/٤/٢٦									
٤٩	١٣١١	١٨٩٣/٤/١٥									
٥٠	١٣١٢	١٨٩٤/٤/٥									
٥١	١٣١٣	١٨٩٥/٣/٢٤									
٥٢	١٣١٤	١٨٩٦/٣/١٢									
٥٣	١٣١٥	١٨٩٧/٢/٢٤									
٥٤	١٣١٦	١٨٩٨/١/٢٤									
٥٥	١٣١٧	١٨٩٨/١٢/١٤									
٥٦	١٣١٨	١٩٠٠/١/٥									
٥٧	١٣١٩	١٩٠١/١٢/٢٥									
٥٨	١٣٢٠	١٩٠٢/١٢/١٥									
٥٩	١٣٢١	١٩٠٣/١٢/٣٠									
٦٠	١٣٢٢	١٩٠٤/١٢/١٨									
٦١	١٣٢٣	١٩٠٥/١٢/٨									
٦٢	١٣٢٤	١٩٠٦/١٢/٢٥									
٦٣	١٣٢٥	١٩٠٧/١٢/١٤									
٦٤	١٣٢٦	١٩٠٨/١٢/٤									
٦٥	١٣٢٧	١٩٠٩/١١/٢٣									
٦٦	١٣٢٨	١٩١٠/١١/١٣									
٦٧	١٣٢٩	١٩١١/١١/٢									

ملاحظات :

عمل هذا الملحق استناداً لما جاء في مجموعة سالنامات الدولة العثمانية « من سالنامه دفعة ٣ إلى سالنامه دفعة ٦٧ » المحفوظة في أرشيف إستانبول . – شكلت ولاية سورية في سنة ١٢٨٢/١٨٦٥ « كما جاء في سالنامه الدولة العثمانية » بينما تذكر الوثائق أنها شكلت في سنة ١٢٨١/١٨٦٥ « انظر أرشيف إستانبول : مجلس والا ، وثيقة رقم ٢٤٢٣٨ تاريخ ١٥ ذي الحجة ١٢٨١ » .– شكلت متصرفية القدس في سنة ١٢٩٠/١٨٧٣ . – شكلت ولاية بيروت في سنة ١٣٠٦/١٨٨٨ « كما جاء في سالنامه الدولة العثمانية ، دفعة ٤٤ ص ٤١٢ ، بينما تذكر سالنامه ولاية بيروت والوثائق أنها شكلت سنة ١٣٠٥/١٨٨٧ « انظر سالنامه ولاية بيروت ، دفعة ١ ص ٢٦ ، وانظر أرشيف إستانبول : مجلس مخصوص ، وثيقة رقم ٤٠١١ تاريخ ٨ ربيع الآخر ١٣٠٥ » . – مقارنة السنوات الهجرية بالميلادية مأخوذة من كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية ، تأليف اللواء المصري « محمد مختار باشا » .

المرجع :محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية،
تق:أحمد عزت عبد الكريم،دار المعارف، ص 338

الملحق رقم: 03

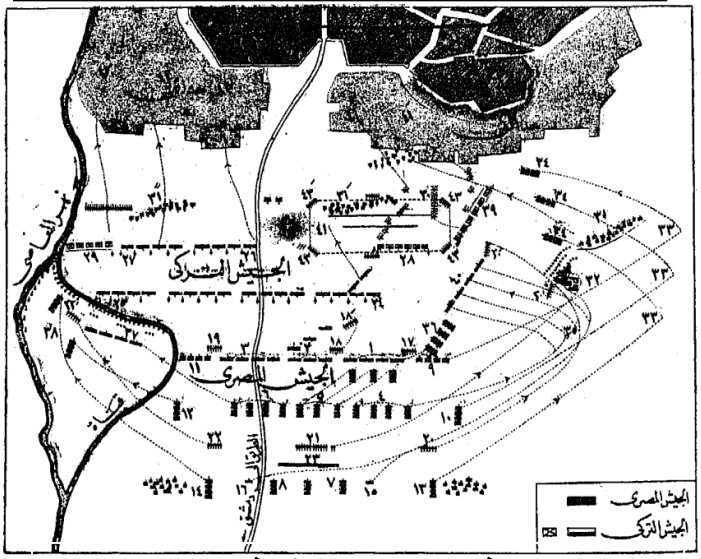

خريطة توضح واقعة حمص

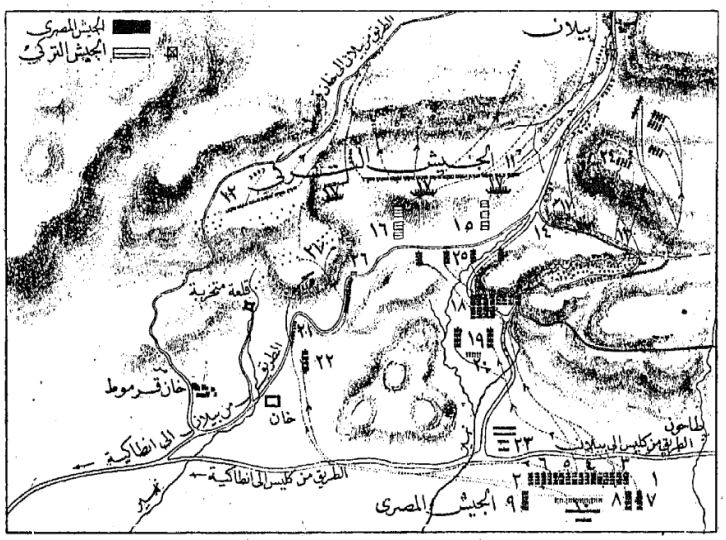

خريطة توضح واقعة بيلان

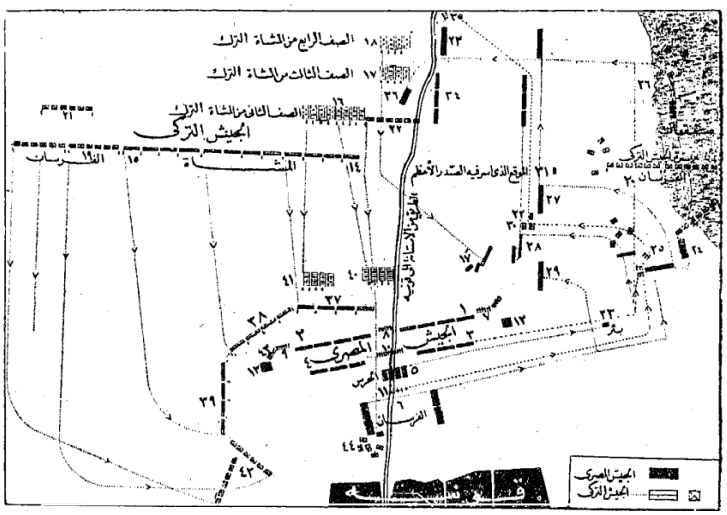

خريطة توضح واقعة قونية

المرجع :عبد الرحمان الرافعي : عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، 1989، ص 233، 240، 247

الملحق رقم : 04

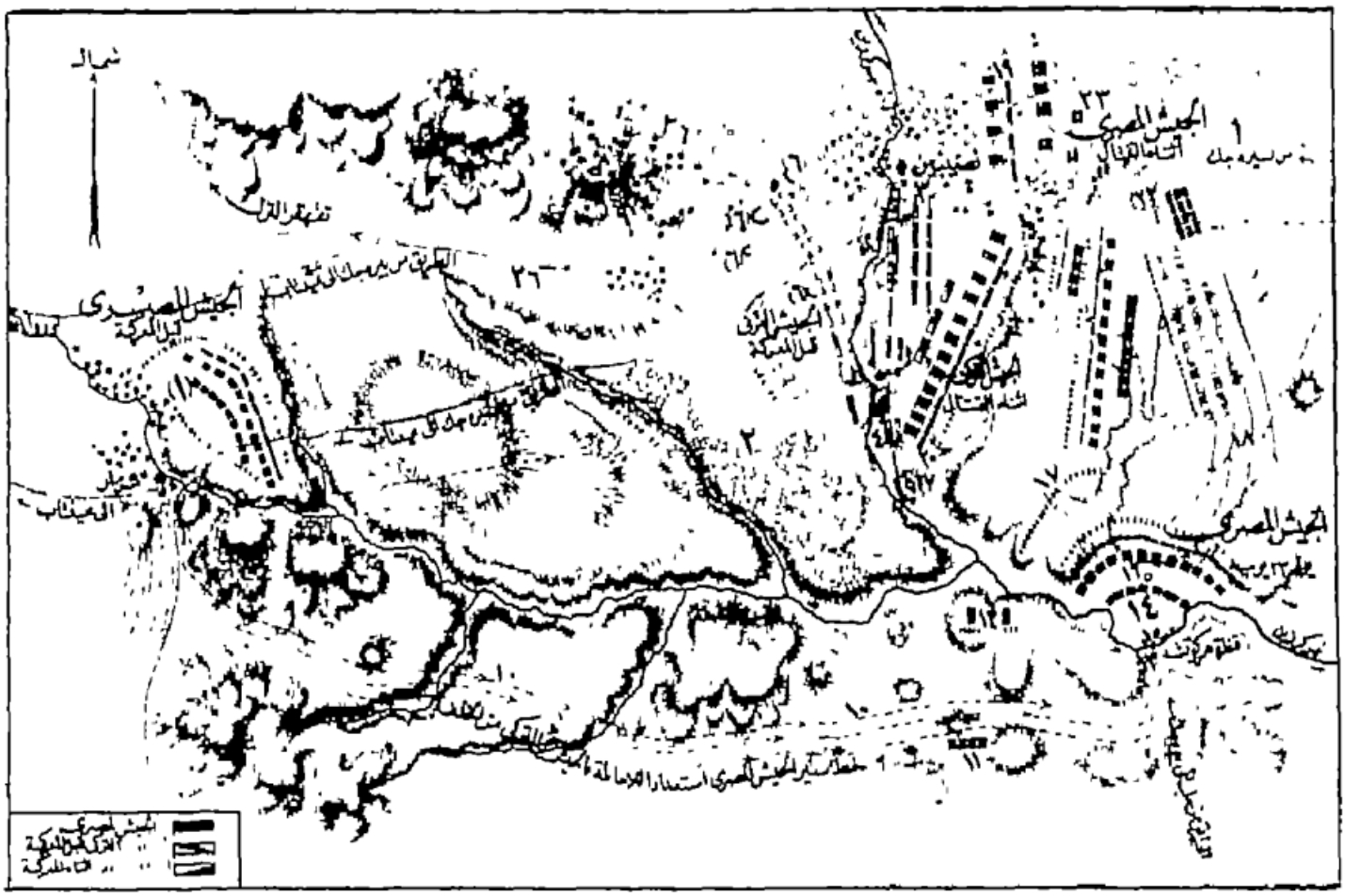

خريطة توضح واقعة ناصيبن

المرجع :عبد الرحمان الرافعي : عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، 1989، ص 279.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر باللغة العربية :

1 -أرسلان شكيب :تاريخ الدولة العثمانية ،تحق :حسن سماحي سويدان ،ط1 ، دارإبن كثير ، دمشق ،2001 .

2 -أصاف عزت لو يوسف بيك :تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشاتهم حتى الان، نق:محمد عزب، ط1 ،مكتبة مدبولي ،1995م.

3 -بيك ابراهيم حليم : التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية ، ط 1 ، مؤسسة الكت ب الثقافية ،1888.

4 -الجبرتي عبد الرحمن : عجائب الآثار في التراجم والإخبار ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، 1297ه .

5 -السالم لطيفة محمد : الحكم المصري في الشام (1831-1841م)، القاهرة 1890.

6 -كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ،تر :نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، ط 5، دارالعلم للملايين ، بيروت ،1868.

7 -الكواكبي عبد الرحمن : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد تق: أسعد السحمراني، ط3، دار النفائس، 2006.

8 -لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ط9 ، دار الفارابي ،بيروت،2007م

9 -محمدفريد بيك: تاريخ الدولة العلية العثمانية،تح :احسان حقي،ط 1 ،دار النفائس ،بيروت ، 1981.

10 - مشاقة ميخائيل : حوادث سوريا ولبنان ، مصر ، 1908.

11 - منصور عبد الحكم : الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة وسلاطين بني عثمان ،تد:طه عبد الرؤوف سعيد ،ط1، دار الكتاب الغربي ،2013 .

12 - يالمازازتوانا : تاريخ الدولة العثمانية ، تر: عدنان سليمان ، مج 2، ط1 ، منشورات مؤسسة فيصل لتمويل، تركيا، 1990.

13 - يوجين روجان : العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر: إبراهيم الخيدي ، ط 1 ، كلمات عربية للنشر ،2011 .

ب. المراجع باللغة العربية :

14 - احمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ،بيروت.

15 - أنطوان مراد :قصة وتاريخ الحضارات العربية التاريخية جغرافية ، حضارية وأدبية سوريا ،ج5-6.

16 - اوغلي خليل ساحلي:من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين ،منظمة المؤتمر الإسلامي ،مركز الابحاث التاريخية والفنون والثقافة الإسلامية ، استانبول ،2000..

17 - بيات نهوض الحوت :فلسطين ، القضية ، الشعب ، الحضارة ، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتي القرن العشرين 1917م .ط1 دار الاستقلال للدراسات والنشر .بيروت ، 1991.

18 - بيضون جميل، شحادة الناضور ،علي عكا شة :تاريخ العرب الحديث ، ط 1، دار الامل، 1991م.

19 - تونجي محمد :بلاد الشام إبان العهد العثماني، ط1 ،دار المعرفة ،بيروت،2000.

20 - جورج انطونيوس : يقظة العرب ، تق: نبيه أمين فارس، تر :ناصر الدين الأسد ، إحسان عباس ، ط2، دار العالم للملايين ،بيروت ،1687.

21 - جوزيف صقر : قصة وتاريخ الحضارات العربية ،ج 1-2 ، تاريخ ،جغرافيا ،حضارية وأدبية لبنان من عصر ما قبل التاريخ حتى عهد المتصرفية ، 1999-1998م .

22 - الحسن عيسى:تاريخ العرب من بداية الحرب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية ، ط1،[د، س].

23 - حسني محمد : الاتجاهات الوطنية ،ج2 .

24 - حلاق حسان :تاريخ الاجتماعي والاقتصادي و السياسي في بيروت والولايات العربية في القرن 19م، الدارالجامعية، 1987.

25 - الخالد محمد فارق : المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، ط1 ، دار الداووين ، 2000.

26 - الخير عبد القادر محمد :نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية.

27 - الرافعي عبد الرحمان :حصر محمد علي ،ط5،دار المعارف، القاهرة ،1997.

28 - الروقي عايض بن حزم : حروب محمد علي في الشام وأثارها في شبه الجزيرة العربية ،1831م -1839م ، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية ،مكة المكرمة،1419.

29 - زين نور الدين زين : نشود القومية العربية مع دراسة تاريخية للعلاقات العربية التركية ، (د،ط)، بيروت ، 1968.

30 - سلطان علي :تاريخ سوريا نهاية الحكم التركي ،(د،س) ، دار طلاس ، دمشق ،1987.

31 - سيار الجميل :تكوين العرب الحديث ،ط1، دار الشروق،1998.

32 - شاكر محمد:التاريخ الاسلامي في العهد العثماني ، ج 8 ، المكتب الإسلامي ،(د،ط) ، بيروت ،1991.

33 - الشناوي عبد العزيز محمد : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ج 1 ،(د،ط) ،المطبعة الجامعية ، القاهرة

34 - صابان سهيل :المعجم الموسوعي.

35 - طرابين أحمد :تاريخ المشرق العربي المعاصر ،(د،ط) ،المطبعة الجديدة ، دمشق ،1985م-1986.

36 - طقوش محمد سهيل : تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ط 2 ،دار النفائس ،بيروت ،2008 م

37 - عبد الرحمن زكي : حملة الشام الأولى والثانية في صفحات من تاريخ مصر ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا (1848م -1949م)، الجمعية الملكية للدراسة التاريخية ، القاهرة، 1990.

38 - عمر الاسكندري ، سليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، (د ،ط)، القاهرة، 1996.

39 - عودة محمد عبد الله ، الخطيب إبراهيم ياسين: تاريخ العرب الحديث ،الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،1989.

40 - غربي الغالي :دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ، 1288ه /1916م ،ط2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،(د،م)،2010م

41 - الكبيسي باسل : حركة القوميين العرب ، ط2 ، دار العودة.

42 - محمد عوض :الادارة العثمانية في ولاية سورية،دار المعارف.

43 - مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا ، (د،م)، تح : احمد غسان سبانو ، دار قتيبة للنشر.

44 - مصطفى أحمد عبد الرحيم : أصول التاريخ العثماني ، ط2 ، دار الشروق ، 1993.

45 - منسي محمود صالح : حركة اليقظة العربية ، دار الفكر العربي.

46 - النتشه رفيق شاكر:عبد الحميد الثاني وفلسطين ، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت ،1991.

47 - النجار جميل موسى :الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني (1869 -1917م)، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة،1991.

48 - نخلة محمد عربي:تاريخ العرب الحديث ، ط 1 ،الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة ، 2010.

49 - الهاشمي عبد المنعم :الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن حزم،2004 .

50 - هدي بو فرحات: قصة وتاريخ الحضارات العربية –تارخ –جغرافيا –حضارية وأدبية العراق والأردن ، ج 9-10.

51 - هشام سوادي هشام : تاريخ العرب الحديث من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط1 ، دار الفكر المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ،2010.

52 - ياغي أحمد إسماعيل: العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط 1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض،1997.

ج –المجلات والموسوعات :

53 – البرت جود : بيروت ولبنان في نهاية الحكم العثمانية ، مجلة تاريخ العرب والعالم ،العدد 151-156 ،سنة 14 ، دار النشر العربية للتوثيق والأبحاث ،1994.

54 – روبيرت مانتران : " تاريخ الدولة العثمانية" ، قر: محسن شومان ، مجلة الاجتهاد، العدد 21-42 ، سنة 11، دار الاجتهاد للابحاث ، بيروت.

55 – عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية،ج 3،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت.

56 – مجلة المقتطف ، مج 49 ، ج5، 1915

د–الرسائل الاكاديمية :

57 – حمودة سمية: حركة الفتح العثماني في القرن 18م/11ه دراسة تاريخية حضارية ، رسالة ماجيستير، بإشراف :أميرة بن علي وصفي مدح ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ،2006.

ه–المصادر باللغة الاجنبية :

58-Albert hourani : Arebic thoughoutin the libera age (1798-1939), London, oxsford unversity press1962.

59-khaddouri and zeine.n.zeien: The emergence Of areb nationalium beirut, 1966.

60-Majed khadduri: palitical treands in the areb world baltimore the john hopeins presse 1970

الفهارس

فهرس الاعلام :

أ

ابراهيم باشا 41، 42، 43،44، 46، 47، 48، 49، 52، 53، 54، 63، 62، 64، 57، 71

احمد باشاالجزار 26، 31، 32، 34

احمد ارسلان 19

احمد باشا 49، 50

امين أرسلان 54

احمد المعيني 18، 26

ارسلان باشا 27

الغوري 06

اسعد باشا 10، 28

سعد باشا 28

اسماعيل باشا العظم 10

إسماعيل حقي بك 24

اورخان 8

اوهانس باشا 23

اوغال بيك 15

انطونيوس البشعلاني 24

ب

البارون تومان 50

البارون بيلوف 50

بشير الاول 26،27

بشيرالثالث الشيهابي 52،55،56

بشير باشا 27

بشير الثاني الشيهابي 29،30،32،36،41،44،52،54،68

بشيرجنبلاط 36

بشير حسن 27

ج

جان بردي الغزالي 9
جمال باشا 23
جبري بيك 06
جورج انطونيوس 65

ح

حاجي خليفة 16
حافظ باشا 48
حسن باشا 42
حيدر الشيهابي 25، 26
الامير حيدر 25، 26، 27، 56

خ

خليلي محمد باشا 41
خور رشيد باشا 19
خسرو باشا 49

د

داود باشا 22
درويش باشا 32

ر

رستم باشا 22
رسيد محمد باشا 42، 53

ط

طاهر الجزائري 72
طاهر افندي 57

ظ

ظاهرالعمر 27، 28، 29، 30، 31، 33

س

سليم الاول 6، 9، 17، 78

سليم الثالث 66، 75

سليمان باشا 29، 28، 48،49

سليمان بك 41

سليمان البستاني 72

سليمان القانوني 16، 17

سليمان يوسف الكنج 29

سليمان الشيهابي 29

سارين افندي 48

ش

شال نابيير 51، 52

شكيب افندي 19،50،56،57

ع

عبد الحميد الاول 30، 32

عبد الحميد الثاني 76،79

الامر عبدالقادرجزائري 37، 57، 58

عبد القادر القباني 74

عبد الله افندي 78

عبد الله باشا 28،30،38،40،41

عبدالسلام عماد 27

عبدالرحمن الكواكبي 69،81

عبدالملك 28

عثمان باشا 28، 30، 41

عثمان باشا الكرجي 31، 32

عمرباشا النمساوي 18، 56، 55

عمر الزيداني 30

علاء الدين 08

علي بيك الكبير 13، 28، 29، 30، 33، 34.
علي منيف بك 24، 26
الشيخ علي 27

ف

فؤاد باشا 19،20،58
فرنكو باشا 22، 23
فخرالدين الثاني 23

ق

القديس يوسف 66

ل

خسرو باشا 49

م

محمدالفاتح 8
محمد ارسلان 72
محمد باشا العظم 32
محمد علي باشا 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 48، 50، 51، 52، 53، 63، 67، 75
محمد الفاتح 06
محمود ابو هرموش 26
محمود الثاني 37، 38 ، 39، 40، 66، 75
محمود علي باشا 40
مدحت باشا 71، 76
مصطفى الثالث 66
مظفر باشا 23
ممتاز بك 24
الامير ملحم 27
الامير منصور 27
الميسيوتيرس 50

ميخائيل البستاني 68
مشرف بن علي 26

ن

نابليون 64
ناصف البازجي 68
نجيب عازوري 70، 73
نصوح باشا 27
نعوم باشا 23

هـ

هولاكو 78
واصا باشا 23
يوسف باشا 09، 12،23
يوسف بك كرم 21
يوسف علم الدين 26، 27، 28،
يوسف الشهابي 31

فهرس الاماكن :

ازمير	12،10
الاردن	16، 24، 25، 33
اضنة	9
اعزاز	9
افريقيا	38،23
استانبول	53،52،51،28،18،12،11،10
اسكندرونة	33،12،11
اسيا	42،28،24،15
انطاكيا	8
ايطاليا	20
بروسيا	50،45،31،20،18
بريطانيا	53،43،37،20،18
بئر السبع	9
البوسفور	51،44،43،42
بيروت	58،55،52،51،46،44،31،29،27،24،20،19،17،12،11،9، 76،75،74،72،71،70،68،65
البرازيل	23
بحر ايجه	10
البحرالازوف	33،10
بحر الاسود	48،44،10
البحر المتوسط	48،44،10
بحرالاحمر	43
البترون	52،26،20،9
البصرة	12،10
بورصة	10
بروسية	50،45،31،20
بلادااليمن	12

بلاد الجليل 31

بندقية 49،12

تدمر 17،11،9

جبل طوروس 48،42،38،32

جبلة5 9

جبل عامل 55،28،27،26

جبل الدروز 20

جبل لبنان 73،58،56،55،36،32،24،17،9

الجبل الغرب- 9

الحجاز 80،73

حلـــب 69،67،45،44،42،41،24،17،15،14،13،12،11،10،9،8،6

حما 6

حماه 17

حماة 42،24،10،9

حمص 42،41،17،15،9،6

حوران 47،29،24،20

حيفا 52،41

دابق 17،9،6

الدردنيل 44،43،42

دير القمر 57،55،28،26،22،21،20

دير مار انطونيوس 65

دمشق 44،38،31،30،28،27،25،24،20،18،17،15،14،13،12،10،
76،74،72،67،58،57،52

راس الرجاء الصالح 12،10

روسيا 55،54،50،47،45،40،31،25،20،

زحلة 21،9

سرمين 9

سلمية 9

الشرق الأقصى 43

السودان 54،53،43،38

سوريا 13،14،18،25،28،33،34،38،40،43،44،46،47،52،54،69،
76،74،73،72

الشرق الأدنى 12،10

الشرق الاوسط 10

الشوبك 12،9

عرابة 31

العراق 11،43،54،78

عجلون 12،9

عكا 10،25،28،29،30،31،32،40،41،44،50،51،52

غزة 9،10،12،15،30،41

عمان 15

صفد 9،12،17،26،27،31

صور 28،32

صيدا 9،10،12،13،17،26،27،28،30،31،32،44،46،52،56،59

طبرية 32

طرابلس 6،9،10،11،12،13،17،25،27

فرنسا 19،20،21،37،43،44،45،48،49،50،51،56،67

فزان-6

فلسطين 13،17،24،25،26،28،29

القاهرة 30،33،34،41،43،47

القدس 9،10،12،25،30،47،71

القسطنطينية 42،43

كسروان 20،21،27

الكورة 9،21

الكرك 9،17،24،25،

لبنان 8،9،12،13،15،17،18،
19،20،21،22،23،24،25،26،27،28،33،34،36،52،55،56،

	68،65،63،59،58
اللاذقية	74،73،72،57،52،13،12،9
الاناضول	44،43،38،30،18،11،10
مالطة	65،
مصر	76،75،74،64،56،33،32،31،29،28،6
مكة	80،25،18
مرعش	10
نابلس	52،41،38،30،17،12،10،9
النمسا	52،51،50،45،21،20
الهند	43،11،10
اورفة	9
يافا	46،41،30،10
اليونان	39،38،37

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكروعرفان	
إهداء	
مقدمة	
الفصل الأول:الوضع السياسي العام لبلاد الشام خلال القرن19م	
المبحث الأول:التنظيمات العثمانية في بلاد الشام	07
المطلب الأول:التنظيم الاداري ببلاد الشام	07
المطلب الثاني:الوضع الاقتصادي ببلاد الشام	10
المطلب الثالث:التنظيمات الاجتماعية العثمانية ببلاد الشام	14
المبحث الثاني:نظام الحكم في بلاد الشام	17
المطلب الأول:التنظيم السياسي في سوريا	17
المطلب الثاني:التنظيم السياسي في لبنان	18
المطلب الثالث: التنظيم السياسي في فلسطين وشرقي الأردن	24
المبحث الثالث: الحركة الانفصالية لبلاد الشام قبل القرن 19م	26
المطلب الأول: الإمارة الشهابية (1697-1825)	26
المطلب الثاني: ثورة علي بك الكبير (1771- 1775)	30
المطلب الثالث: ثورة ظاهر العمر (1771- 1775)	31
المطلب الرابع ثورةأحمدباشاالجزار (1775- 1804)	32
خلاصة	34
الفصل الثاني: حروب محمد علي باشا ببلاد الشام	
المبحث الأول: حرب الشام الأولى (1831- 1833)	37
المطلب الأول: الظروف الدولية قبل 1831	37.
المطلب الثاني: أسباب حرب الشام الاولى(1831- 1833)	38
المطلب الثالث: مراحل حرب الشام الاولى	41
الطلب الرابع: معاهدات الصلح (كوتاهية- خوتكاراسكله سي)	44
المطلب الخامس: الإصلاحات المصرية في بلاد الشام	46

المبحث الثاني: حرب الشام الثانية وانعكاساتها (1839- 1841)	48
المطلب الأول: سير الأحداث (مجريات الحرب)	48
المطلب الثاني: معاهدة لندن	50
المطلب الثالث: نهاية محمد علي وانسحابه من بلاد الشام	53
المطلب الرابع: تنظيم بلاد الشام	
الفصل الثالث: دور اليقظة في بعث الحركة القومية وردود الفعل العربية على سياسة التتريك.	
المبحث الأول: اليقظة العربية ودورها في نمو الفكر القومي ببلاد الشام.	63
المطلب الأول: مفهوم اليقظة العربية وعواملها	63
المطلب الثاني: رواد اليقظة العربية ببلاد الشام	68
المطلب الثالث: المظاهر الفكرية لليقظة ببلاد الشام	71
المبحث الثاني: ماهية الحركة القومية العربية	75
المطلب الأول: عوامل التطور الوعي القومي	75
المطلب الثاني: خصوصيات ومراحل الحركة القومية العربية	76
المبحث الثالث: سياسة التتريك وردود الفعل العربية	78
المطلب الأول: مفهوم سياسة التتريك	78
المطلب الثاني: ردود الفعل العربية	80
خاتمة	**82**
الملاحق	**85**
قائمة المصادر المراجع	**90**
فهرس الأعلام	**97**
فهرس الأماكن	**102**
فهرس الموضوعات	**106**